سلسلة مشاهير العرب

هيئة كتابة التأريخ

الخليفة المجاهد
هارون الرشيد

١٧٠ هـ/ ـ ٩١٣ هـ/٨٠٩ م

الدكتور
فاروق عمر فوزي

الطبعة الاولى لسنة ١٩٨٩

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

الطبعـة الاولى ـ ١٩٨٩



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة . « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
تعنون جميع المراسلات
ص.ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

« كانت دولة الرشيد من احسن الدول واكثرها وقارا ورونقا وخيرا ، واوسعها رقعة مملكة .. ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والفقهاء والشعراء والقواد والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد».

ابن الطقطقى ، كتاب الفخري ، ص ١٩٥

« ان ايام الرشيد كانت ايام خير وكأنها في حسنها اعراس » .

السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٦

كان هارون الرشيد ينظر الى السحابة المارة فيقول :

« اذهبي حيث شئت يأتني خراجك »

القلقشندي ، صبح الاعشى، جـ٣ ص ٢٧٠





المحتويـات

* * *

مقدمة

تُعدّ شخصية هارون الرشيد من أكثر الشخصيات العباسية شهرة لا في الاساطير الشعبية فحسب بل في الروايات التاريخية القديمة والحديثة على حد سواء . وهذه الحقيقة تدفع المؤرخ أكثر فأكثر الى الاحتراز من أجل غربلة الاخبار من بين الروايات المفعمة بالخيال والقصة الساذجة والخبر الشعوبي الموضوع والمدسوس.

لقد أخفت هذه الروايات المتناقضة شخصية هارون الرشيد الحقيقية وضاعت مظاهر سياسته الداخلية والخارجية في خضم الاخبار والشائعات . ولا شك فان نشأة الرشيد وظروف عصره السياسية والحضارية كان لها دورها وأثرها الفاعل في احداث « العصر الذهبي » وهو الاصطلاح الذي أطلقه المؤرخون على عصر الرشيد وبنيه من بعده .

كان هارون الرشيد ثالث أولاد الخليفة العباسي محمد المهدي وثاني أبنائه من الخيزران الجارية ذات الآمال العريضة والطموحات الواسعة التي تزوجها المهدي فلعبت هي وحلفاؤها البرامكة دورا مهماً في سياسات الرشيد .

ثم ان تربية الرشيد في بلاط أبيه في بغداد وحياة الدعة التي عاشها وارتباطه منذ طفولته بمربيه يحيى بن خالد البرمكي جعلت منه خاصة في سني حكمه

الاولى شخصية يسهل التأثير عليها ، كما انه كان على عكس جده أبي جعفر المنصور ، لا يدخر وسعا في بذل الاموال الوفيرة لدرجة ان رواية في الطبري تقول عنه « لم ير خليفة قط قبله أعطى منه للمال » •

واذا أضفنا الى ذلك الظروف الصعبة التي مرّ بها هارون الرشيد في خلافة أخيه موسى الهادي القصيرة الامد التي شجعت الى حد كبير على نمو التكتلات في البلاط العباسي وتبلورها • ادركنا لماذا أمر الرشيد بتحريض من البرامكة أحيانا بسجن الشخصيات السياسية التي تعاونت مع أخيه الهادي أو ابعادها ولكن يجب ألا نبالغ في دور البرامكة ونفوذهم فقد كانت هناك شخصيات عربية مثل الفضل بن سليمان الازدي الطوسي ومحمد بن فرّوخ الازدي ويزيد بن مزيد الشيباني والعديد من أمراء بني العباس الهاشميين العرب وكذلك شخصيات غير عربية مثل المولى الفضل بن الربيع بن يونس وعلي بن عيسى بن ماهان •• كان لها وزنها المعادل للبرامكة ان لم يكن أكثر منه •

واذا كانت الرواية الشعوبية الفارسية تحاول أن تظهر هارون الرشيد بمظهر الخليفة الذي لا يهتم بمسؤولياته في الحكم حيث « قلد أمر الرعية الى البرامكة» ، ولم يكن موفقا دائما في اختياره لعماله وولاته ، وأذعن للميول الانفصالية في جسم الخلافة حين اعترف بالاغالبة أمراء شبه مستقلين مقابل دفع مبلغ من المال الى بيت المال في بغداد، واعترف بالتفكك السياسي حين قرر تقسيم أقاليم الدولة العباسية بين أبنائه الثلاثة الامين والمأمون والمؤتمن • تلك السياسة التي استغلها الفرس المجوس والشعوبيون والتي استغرب منها مؤرخونا الرواد حيث يقول عنها ابن الاثير « وهذا من العجائب » ، ويفصّل الطبري في ذكرها حين يشير على لسان الرأي العام في تلك الفترة « وقال بعضهم بل قد ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة » !!•• الا أننا لا نجاري الرواية

الشعوبية بالتأكيد على مظاهر معينة وحالات فردية أو شاذة ونهمل كل انجازات الخليفة المجاهد هارون الرشيد في ميادين البناء والحضارة والعلوم والحياة الاجتماعية والاقتصادية والنظم الادارية والمشاق التي تحمّلها لتوطيد الامن والاستقرار والرفاهية للرعية، فقد توفي وهو في طريقه لقمع تمرد وقع في المشرق الاسلامي (خراسان). كما ان هارون الرشيد بعث روحا جديدة في الجهاد ضد الروم البيزنطيين ودخل بنفسه وهو يقود جيوش الدولة العباسية الى عمق الاراضي البيزنطية ووصل الى مشارف القسطنطينية . وكان الرشيد أول خليفة عباسي يهتم بمنطقة الثغور والعواصم ويعيد تنظيمها اداريا وعسكريا ويشحنها بمقاتلة جدد ويعين لها ولاة قديرين. والرشيد أول خليفة عباسي اهتم بالاسطول في البحر الابيض المتوسط وأعاد بناءه ورمم موانىء البحر المتوسط وأرسل اليها المقاتلة لحمايتها . وكانت عملياته العسكرية تسير جنبا الى جنب في البر والبحر مما استحق معه لقب « الخليفة المجاهد » . ان جهوده الكبيرة هذه أكسبته شهرة عالمية كبيرة في الشرق والغرب فكانت سفارات الدول تحث السفر الى بغداد لتوثيق الصلات الدبلوماسية والتجارية مع دولة الخلافة، وقد بالغت الروايات الاوربية في هذه العلاقات خاصة تلك التي وقعت بين الرشيد وشارلمان ملك الفرنك .

من كل ذلك يبدو عصر الرشيد وأبنائه من بعده عصرا ذهبيا في تاريخ العراق والدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ، لما تمتع به من مظاهر الحضارة ودلالات الازدهار ، كما ان الباحث في الوقت نفسه يلاحظ في بعض أحداثه بوادر التحلل الاداري وبدايات التفكك السياسي لدولة الخلافة ، وسنحاول أن نعرض لكل هذه المظاهر في كلامنا عن هارون الرشيد.

والله من وراء القصد وهو نعم الموفق والمعين .

وأخيرا فلابد من الاشارة الى أن هـذا الكتاب يقع ضمن سلسلة الكتب الموجهة الى المثقف العام والقـارىء المولع بتـاريخ العراق والتاريخ العربي الاسلامي وليس للباحث المتخصص في التاريخ ، وقد روعيت هذه النقطة من قبل المؤلف سواء فيما يتعلق بالمنهج المتبـع أو المـادة المختارة التي تعمل أداة للتوجيه والتوعية والتعبئة .



الفصل الأول

هـــارون قبل الخلافـــة

نشأ هارون بن محمد المهدي نشأة عربية اسلاميةفقد اهتم جده أبو جعفر المنصور وأبوه محمد المهدي بالثقافة العربية الاصيلة ، وقربوا اليهم علماءاللغة والبلاغة والشعراء والفقهاء والمحدثين في بغـــداد عاصمـــة الخلافة في عهدها الجديد العهد العراقي ، تلك المدينة التي وصفها المنصور بقوله « وبنيت مدينة لم يكن في الاسلام مثلها »[١] .

وهكذا فقد ترعرع هـــارون في ظل دولة وضع أسسها المنصور ورعاهـــا المهدي باصلاحاته وعدله وسهره على الامن والاستقرار فيها .

وتذكر روايات التاريخ[٢] ان هارون ولد في مدينـــة الري حين كان أبوه محمد المهدي ولي العهد في مهمة عسكرية من قبل المنصور للقضـــاء على تمرد هناك . وكانت أمه الخيزران[٣]بنت عطاء الجرشية التي تزوجها المهدي فأنجبت

١ ــ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، الجزء الاول . ص ٣٣ ــ الطبـــري ، تاريخ ، جـ٦ ، ص ٣٤٥ ، ط مصر .
٢ ــ خليفة بن خيـــاط ، تاريخ ، ط النجف ، جـ٢ ص ٤٩٦ . ــ الخطيب البغدادي ، جـ١٤ ص ٥ . ــ العيون والحدائق ، جـ٣ ص ٢٦٧ .
٣ ــ الخطيب البغدادي ، جـ ١٤ ، ص٣٨٢ .

له ولديه موسى وهارون•وكان بين الولدين حوالي العامين•وقد ولد هارون في شتاء سنة ١٤٨هـ/سنة ٧٦٥م وكان الابن الثالث للمهدي بعد موسى وعلي ابن ريطة الهاشمية والابن الثاني من الخيزران •

لقد كان يحيى بن خالد البرمكي من بين رجالات الدولة العباسية الذين كانوا في معية المهدي في الري ، ويبدو ان العلاقة كانت قد توثقت منذ تلك الفترة المبكرة بين الخيزران وزوجات يحيى البرمكي لدرجة أنهن أرضعن هارون من حليبهن وبهذا تآخى هارون مع أولاد يحيى الفضل وجعفر •

استقرت الاوضاع في بلاد فارس نسبيا بعد سلسلة من الاضطرابات وحركات التمرد فقرر الخليفة المنصور الطلب من ولي عهده المهدي العودة الى بغداد وكان ذلك سنة ١٥١هـ/٧٦٧م • حيث عاد المهدي ومعه معاونوه وعلى رأسهم معاوية بن عبيد الله حيث باشر ببناء معسكر جديد له في جانب الرصافة شرقي دجلة مقابل مدينة السلام وما لبث هذا المعسكر ان تطور الى مدينة جديدة لها مسجدها وخططها واداراتها وخدماتها[٤] •

ولقد كان من عادة العرب وتقاليدهم الاهتمام بتربية أبنائهم من حيث النشأة والثقافة والتكوين ، ولم يكن الخليفة المهدي ليشذ عن هذه القاعدة فاهتم بأبنائه الثلاثة، ويبدو أن المهدي فكر منذ فترة مبكرة بتولية ولديه موسى وهارون ولاية العهد ولم يحفل بترشيح ابنه الآخر علي لهذا المنصب رغم ان أمه عربية هاشمية تختلف عن الخيزران الجارية المغمورة وهذا شيء يثير الاستغراب ولم تكشف مصادر التاريخ عن أسبابه ومبرراته ولكن تفضيل أولاد الخيزران يدل دون شك على نفوذها القوي على المهدي •

---

٤ ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٦ ص ٢٩١ فما بعد (الطبعة المصرية) .

كما أن فكرة تعيين هارون بالذات لولاية العهد كانت في ذهن المهدي منذ أن توسم فيه جده المنصور خيرا ، وقال انه سيلي الامر ان شاء الله ويسير سيرة صالحة • وكان تعليق المنصور هذا حين علم ان ولادة هارون جاءت مع اتمام بناء بغداد (مدينة السلام)[5] • وتظهر روايات تاريخية[6] ان المهدي عزم على [illegible] موسى لولاية العهد منذ بدأ محاولته الاولى لخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ولم يمنعه من ذلك سوى صغر سن هارون •

لقد عني بتدريس هارون وتثقيفه جملة من العلماء الاعلام والفقهاء المشهود لهم بالفضل • فمن أساتذته الكسائي (ت ١٨٩ هـ) وهو امام الكوفيين في اللغة والادب والنحو • وكذلك المفضل الضبي العالم بالاخبار وأيام العرب والمتضلع بالادب • ولا بد أن يكون الامير هارون قد تأثر بالعديد من نتاجات نوابغ عصره من أمثال الخليل بن أحمد وأبي العتاهية وسفيان الثوري وابن أبي ذئب وغيرهم كثير • كما تأثر هارون بسيرة أبيه المهدي الذي طارد الزنادقة وحارب أفكارهم وقرّب أهل المدينة المنورة اليه وجلب عددا منهم الى بغداد ليكونوا بقربه ، كما اهتم بتحقيق العدالة ورد المظالم عن الرعية[7] •

كل ذلك كان نموذجا وقدوة صالحة تأثر بها هارون فصقلت أخلاقه وهذّبت سريرته ولهذا وصفه المؤرخون بالتقوى وحب الجهاد في سبيل الله• يقول عنه صاحب كتاب الفخري « كان من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم »[8]• ويعطيه المؤرخ الذهبي أربع صفات رئيسة هي : الشهامة

---

٥ ــ راجع : الجومرد ، هارون الرشيد ، جـ١ ص ٥٨ .
٦ ــ الازدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ص ٢٤٣ فما بعد .
٧ ــ الخطيب البغدادي ، جـ٣ ص ١٩٦ ، جـ١١ ص ٤٠٣ .
٨ ــ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥٧ (طبعة مصر) .

والشجاعة والحزم والكرم ، ويضيف المؤرخ نفسه في موضع آخر حبه للغة والادب ورغبته في المعرفة ومشاركة العلماء والجلوس معهم[٩] •

أما في السياسة والادارة فكان مثله الاعلى جده الخليفة المنصور ولهذا يحاول العديد من المؤرخين المقارنة بينهما • يقول الطبري[١٠] عن هارون الرشيد : « كان يقتفي آثار المنصور ويطلب العمل بها •• » ولا شك فان أباه المهدي قد عني بتدريبه على أعباء السياسة والادارة والحرب[١١] وما يتطلبه كل ذلك من أسفار وتدريب على الخيل والرماية والطعن وما اليها •

فمنذ سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م تقلّد هارون مهمة أمير الجهاد ضد الروم البيزنطيين وأرسل معه قادة متميزين ، وبعد عودته قلّده المهدي ولاية الاقاليم الغربية للدولة يساعده في ذلك يحيى بن خالدالبرمكي•وفيعام ١٦٥هـ/٧٨١م قاد هارون حملة عسكرية جديدة ضد الروم وكان للانتصار الكبير الذي سجله على العدو أثر كبير في رفع منزلته وزيادة شهرته تمهيدا لترشيحه لولاية العهد[١٢] •

لقد كان هارون مثله مثل الامراء العباسيين ينال ، في فترة الصبا والشباب قسطا من الثقافة الفكرية والخبرة العملية من أجل أن يكون مستعدا للخلافة وقيادة الامة اذا ما تم ترشيحه اليها • ومن الشخصيات السياسية والعسكرية المقربة للامير هارون في هذه الفترة هي يحيى بنخالد البرمكي والربيع بن يونس والقائد يزيد بن مزيد الشيباني•وكان كل من القائدين الحسن بن قحطبةالطائي ويزيد بن أسيد السلمي في الجبهة البيزنطية من المقربين الى هارون •

---

٩ ــ الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ حيدر آباد الدكن ، ص ٢٢٠ .
١٠ــ الطبري ، تاريخ ، القسم الثالث ، ٧٣١ (الطبعة الاوربية) .
١١ــ الطبري ، المصدر السابق . ــ الجومرد ، جـ١ ص ٧٠ .
١٢ــ عن هذه الحملات راجع : الطبري جـ٦ ص ٢٩٨ فما بعد .

البيعة لهارون بولاية العهد :

في سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م بدأ الخليفة المهدي أول خطوة في سبيل انتزاع ولاية العهد من عيسى بن موسى وتعيين ولده موسى (الهادي) وليا للعهد ، وقد نجح في ذلك بعد جهود مضنية[١٣] • وبتأثير من الخيزران بدأ المهدي التمهيد لخطوات جديدة لاعلان ولايةالعهد الثانية لابنه هارون•وكان الاستقبال الكبير الذي استقبل به الامير هارون بعد عودته من الجهاد ضد الروم سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م من جملة الاجراءات الدعائية لاعلاء شأنه حيث ختمت الاحتفالات باعلان المهدي لهارون ولياً ثانيا للعهد وتلقيبه بلقب (الرشيد)[١٤] •

ولكن مشكلة ولاية العهد لم تنته لان الخيزران وبسبب تفضيلها لابنها هارون على ابنها موسى كانت تحث المهدي على أن يضع الاول قبل الثاني في ترتيب ولاية العهد • وحين طلب الخليفة ذلك من موسى رفض موسى الطلب وتمسك بالشرعية وبقي في طبرستان حيث كان قد قضى على حركة تمرد فيها • فقرر الخليفة السير بنفسه الى طبرستان ومعه هارون لاجبارموسى علىالرضوخ للطلب•ولكن الخليفة المهدي مات في ظروف غامضة في الرذ في ١٦٩هـ/٧٨٥م•

لم يتوان الامير هارون من أخذ البيعة لاخيه موسى الهادي خليفة من الجند الذين كانوا مع الخليفة المهدي ومنحهم جوائز وعطاءً اضافيا وأمرهم بالعودة الى بغداد • كما أرسل هارون نصير الوصيف بشارات الخلافة الى الهادي في جرجان •

وبعد وصول الجيش الى بغداد سمع بوفاة المهدي فحدثت بعض القلاقل والاضطرابات ، ولكن سرعان ما طلبت الخيزران عقد اجتماع رسمي حضره

١٣ــ الطبري ، جـ٦ ، ص ٢٦٠ . ــ ابن طباطبا ، الفخري ، ص ١٦٢ .
١٤ــ الطبري ، المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

الربيع بن يونس نائب الخليفة على بغداد وامتنع يحيى البرمكي عن الحضور .
وكان الاجتماع قد تمخض عن دفع مزيد من العطاء للجند لضمان ولائهم وهو تقليد أصبح شائعاً بعد وفاة كل خليفة وتقليد خليفة جديد، كما تقرر في الاجتماع نفسه ارسال الوفود الى الاقاليم لاخذ البيعة للهادي ولولي عهده هارون الرشيد . والملاحظ ان هذا العمل يدل على ذكاء الخيزران التي سبقت الاحداث فهو لا يؤكد فقط سلطة الهادي الشرعية والمعترف بها لان المهدي لم يكن لديه الوقت الكافي لاجبار الهادي على التنازل عن حقه ، بل ان هذا العمل يؤكد حق الرشيد بولاية العهد بعد الهادي ويجدد البيعة له في الاقاليم قبل أن يقدم الخليفة الجديد على أي اجراء ضده !!

لقد تصرف هارون الرشيد بحكمة وعقل خلال هذه الفترة الانتقالية حيث أخذ البيعة لاخيه في الرذ وفي بغداد وثبّت الشرعية ولكنه وفي الوقت نفسه ثبت حقه في ولاية العهد وذكر اسمه في البيعة في بغداد والاقاليم[١٥] .

لم يمض وقت طويل حتى تأزمت العلاقة بين الخليفة الهادي وأمه الخيزران التي استمرت على عادتها في التدخل بسياسة الدولة فأمرها الهادي بالتزام دارها والانشغال بأمورها . وحذّر رجال السياسة والادارة من تلبية طلباتها .

وكان الهادي يشك في نوايا أمه الخيزران والبرامكة واحتضانهم للرشيد وقد عبّر عن هذه الشكوك للقاضي أبي يوسف الذي طمأن الهادي ولم يشجعه على اتخاذ عقوبات تأديبية ضد هارون . وقد كان يحيى البرمكي وراء هارون يقوي من عزمه ويمنعه من الرضوخ الى مطالب الهادي . وفي المقابل كان العديد من القادة يشجعون الهادي على اعلان البيعة لابنه جعفر .

١٥ـ حول هذه الاحداث راجع : فاروق عمر ، العباسيون الاوائل، جـ٢ ص٢٢٢ فما بعد .

وحاول الهادي أن يستغل نفوذ يحيى بن خالد البرمكي على الاميرهارون فطلب اليه اقناع هارون بالتنازل . وبدلا من أن يقنع يحيى البرمكي هارون أقنع الخليفة الهادي بأن نقض العهد بعد فترة قصيرة من ابرامه ستكون له تنائج سيئة ، واقترح على الخليفة تأجيل المسألة لفترة خاصة وان جعفرا لا يزال صغيرا . وتعهد يحيى البرمكي للخليفة بأنه سيقوم بنفسه بأخذ البيعة لجعفر في حالة بلوغه وسيقنع هارون بالتنازل عن ولاية العهد .

وكان هارون كثيرا ما يترك بغداد في رحلات صيد طويلة ليبتعد عن الضغوط التي كان يتعرض لها ، ولكن الحالة لم تستمر فقد أمر الهادي بسجن هارون ويحيى البرمكي . وهنا ترتبك الاحداث ونفاجأ بموت الهادي بالطريقة نفسها التي مات فيها أبوه المهدي . وتتفق روايات عديدة[١٦] على دور الخيزران والبرامكة في موت الهادي . فتشير رواية في الطبري الى اتصالها بيحيى البرمكي وأمرها له بالاستعداد لامر عظيم وأن يكتب اعلان البيعة للرشيد لكي يرسل لتوه الى الاقاليم . كما تشير رواية أخرى الى أنها كانت رابطة الجاش غير جزعة لما سمعت بموت الهادي ، بل انها وزعت الاموال والعطايا .

وفي اليوم نفسه الذي مات فيه الهادي نصب القائدان هرثمة بن أعين وخزيمة بن خازم التميمي مع خمسة الاف جندي أحاطت بقصر جعفر بن الهادي واعتقلته ثم أجبر في اليوم التالي على الاعلان للملأ بأن الحق بالخلافة يعود الى عمه هارون الرشيد وانه يُحل كل من بايعه من تلك البيعة .

١٦ــ الطبري ، المصدر السابق . ــ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ص ١٠٠ . ــ الذهبي ، العبر ، ص ٢٥٧ .

لقد رفع هارون الرشيد الى الخلافة بجهود أمه الخيزران والكتلة التي ساندته في البلاط وعلى رأسها يحيى البرمكي •

وقد اقترحت الخيزران قتل كل من ساند الهادي أو حرضه على خطته لاجبار هارون على التنازل ولكن تم الاتفاق على ابعادهم عن بغداد الى مراكز ادارية وعسكرية في الاقاليم[١٧] •

* * *

١٧– راجع : فاروق عمر ، الوزارة العباسية، بغداد،١٩٨٦ . الفصل التاسع.

الفصل الثاني

هارون الرشيد خليفة

تمت البيعة لهارون الرشيد بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه الهادي وكان يوم جمعة من شهر ربيع الاول سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م • ومن غريب الصدف أن يولد في اليوم نفسه عبدالله المأمون بن هارون الرشيد[١] •

وكان القائد هرثمة قد أجلس هارون الرشيد على كرسي الخلافة بينما انشغل القائد خزيمة بن خازم التميمي باعتقال جعفر بن موسى الهادي • وفي الوقت نفسه كان يحيى البرمكي الذي تقلد الوزارة للرشيد يحرر الكتب الى الاطراف ينبئهم بما استجد من أمور العاصمة بغداد •

وكان من مراسم البيعة أن يلقي أحد كبار كتّاب الدولة كلمة بالمناسبة فقام يوسف بن القاسم بالقاء خطبة أشار فيها الى فضائل الرشيد ومناقبه ووعد الناس بعهد من العدل والرأفة مطمئنا اياهم على أرواحهم وأعراضهم[٢]• ثم

١ ـ مجهول ، العيون والحدائق ، جـ٣ ص ٢٩١ ـ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٠٧ •

تقدم الامراء من بني هاشم والعلماء والقادة والوزراء والكتّاب بالبيعة للخليفة الجديد .

كان الرشيد في الثالثة والعشرين من عمره حين غدا خليفة المسلمين وحاكما للدولة العربية الاسلامية وكانت أمه الخيزران وكذلك البرامكة عوامل مؤثرة في توجيه سياسته وتدبير ادارته خلال الفترة الاولى من عهده والتي استمرت حوالي سبع عشرة سنة . ومع أن البرامكة والخيزران تمتعوا بصلاحيات واسعة الا أن شخصيات عربية مهمة كانت تنافسهم وتتقاسم المسؤولية معهم نذكر منها الفضل بن سليمان الطوسي ومحمد بن فروخ الازدي ويزيد بن مزيد الشيباني والعديد من أمراء البيت العباسي وكذلك الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان اللذين يعدان من الكتلة العربية في البلاط .

كما ان قيم الرشيد وتقاليده وثقافته العربية الاسلامية كانت أهم موجه له في سياساته وتدابيره فقد ذكر عنه المؤرخون انه كان « يعظم حرمات الاسلام ويبغض المراء في الدين »[3] وكان يحب دار الاسلام ويعمل جاهدا على توسيعها ويرد عنها خطر العدو المترقب ولذلك اهتم ببناء العواصم والثغور وكان يقول عن ثغر العراق : « نظرنا فاذا كل ذهب وفضة على وجه الارض لا يبلغ ثمن نخيل البصرة »[4] .

تشير بعض الروايات التاريخية الى أن الرشيد بدأ حكمه بتعيين يحيى البرمكي وزيرا وتفويض أمر الدولة له وقال له : « فأحكم بما ترى واستعمل

---

٢ ـ محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية. ص ١٨٢ .
٣ ـ الجومرد ، هارون الرشيد ، جـ٢ ص ٢٠٨ .
٤ ـ عجمي الجنابي ، مؤسسات الخلافة في عهد الرشيد ، ص ٣ .

من شئت واسقط من رأيت فاني غير ناظر معك في شيء »[٥] • ولكن يحيى البرمكي كان من المكر بحيث أشرك معه الخيزران أم الرشيد في القرارات التي يتخذها فكان يستشيرها ويعرض عليها الامور قبل اصدارها لدرجة ان بعض الروايات تعتبرها الناظرة في الامور حتى وافاها الاجل سنة ١٧٣هـ/٧٩٠م[٦] • ومهما يكن من أمر فقد كانت الدواوين كلها بيد يحيى البرمكي خاصة بعد سنة ١٧١هـ حين أضاف اليه ديوان الخراج • أمـا الفضل بن يحيى البرمكي فكان الساعد الايمن لأبيه في الامور الادارية وتولى امارة عدة أقاليم من أهمها خراسان وطبرستان وأرمينية • وأرسل للقضاء على حركة يحيى بن عبدالله الحسني • وقد بالغت الروايات الشعوبية في اظهار أعمال الفضل البرمكي • ومهما يكن من أمر فان الرشيد عهد له بتربية ابنه محمد الامين • ولم يكن جعفر بن يحيى البرمكي مثل أخيه بل كان يحب الانس والطرب والمتعة ويتأنق في مسكنه وملبسه • وقد قربه الرشيد لدرجة كبيرة حيث تشير رواية تاريخية « وغلب جعفر على الرشيد غلبة شديدة حتى صار لا يقدم عليه أحدا[٧] » • ولا بد أن نشير بأن الخليفة أخطأ حين عهد لجعفر بمهام سياسية وادارية فقد أعطاه خاتم الوزارة مرة ثم أشركه معه في النظر في المظالم وأمره بأن يراقب دور الضرب ، وكتب اسمه على الدنانير بجانب اسم الخليفة •

ان هذه الحظوة الكبيرة وهذا النفوذ السياسي والاداري للبرامكة وكثرة أنصارهم وصنائعهم ومواليهم والمنسوبين الى كتلتهم أدت الى المبالغة في الكلام

---

٥ ــ الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٧٧ .

٦ ــ المصدر السابق نفسه .

٧ ــ الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ١ ص ١٩٠ .

عنهم لدرجة ان رواية تقول : « ان في دولة الرشيد دولة ملوكها البرامكة » . كما درج المتزلفون على تسمية بعضهم (بالسلطان) أو الملك[8] .

وهنا لابد أن ندرك ان سلطة البرامكة المطلقة لم تستمر أكثر من أربع سنين ذلك ان وفاة الخيزران سنة ١٧٣هـ/٧٩٠م كانت بداية نهاية نفوذهم الذي بدأ يتقلص بصورة تدريجية رغم انها بطيئة . ان موت الخيزران يعتبر في رأينا بداية نهاية نفوذ البرامكة ، لا لان الخيزران كانت السند المهم ليحيى البرمكي فحسب بل لان موتها أخلى الجو ليحيى البرمكي وأولاده لكي يتصرفوا في الامور وحدهم أكثر من ذي قبل الامر الذي جعل الخليفة يشعر أكثر من أي وقت مضى بثقل نفوذهم وتماديهم ، والى ذلك يشير الفخري[9] حين يقول :

« وقيل ان جعفراً والفضل ظهر منهما من الادلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك » .

ولكن الرشيد تخلص منهم سنة ١٨٧هـ بعد ان دبر المكيدة لهم سراً . وقد حار المؤرخون في سبب سقوطهم فاختلطت الروايات الموضوعة بالروايات الشعبية وحبكت القصص والاساطير وتداخلت بالوقائع الحقيقية حتى بات من الصعب التفريق بينها . ولعلنا ننفي منذ البداية (اسطورة العباسة) أخت الرشيد وقصة زواجها الصوري من جعفر البرمكي لانها رواية لا تقف أمام النقد الداخلي لمتن الرواية ولا أمام النقد الخارجي . فالرواية يرويها الطبري دون سند أو سلسلة رواة وليس لها ذكر في كتب الدينوري واليعقوبي والاصفهاني وهم

---

٨ ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ص ٢١٥ .

٩ ـ الفخري ، ص ١٧٢ .

من أوائل من كتب في أحداث العراق في هــذه الفترة • وقد أبدى الجهشياري استهزاءه بها وهو يشير الى رواية عن مسرور الكبيرمفندا هذه القصةبقوله[10] :

« كأنك تريد ما تقوله العامة فيما ادعوه من أمــر

المرأة •• لا والله ما لشيء من هذا أصل ولكنه من ملل

موالينا وحسدهم » •

ويناقش ابن خلدون[11] هذه القصة وينفيها أصلا « ولا يعقل أن تقدم العباسة على ذلك وعصرها قريب عهد ببداوة العروبة وســذاجة الدين • فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب منها ؟ »• وأكد ابن كثير[12] وغيره انالعديد من العلماء أنكروا هذه الاسطورة التي وضعتها الاقلام الفارسيةالحاقدة خاصة وان متنها يغلب عليه الطابع الاسطوري المختلق •

هذا من جهة ومن جهة أخرىفالعباسة كانت متزوجة من محمد بنسليمان وتوفي عنها ثم تزوجت ثانيــة وثالثــة فلم تبق دون زوج • حتى ان الشــاعر أبا نواس أخذ يتندر في شعره بأمرها ويقول اذا أراد رجل الموت فما عليه الا الزواج من العباسة ! وكانت القيم والتقاليد قوية فعالة في عصــر الرشيد فان هذا الخليفة جعل ابنه الامين وهو من أم عربية وليا أولا للعهد فكيف يوافق على زواج أختــه من ولي أعجمي ؟ وكيف يتم الزواج والخليفة لا علم له • واذا كان الزواج صوريا فكيف يوافق عليه الخليفة مع انه ينــافي الشــريعة الاسلامية التي لا تقر زواجا بالصورة التي توردها الرواية •

١٠ــ الجهشياري ، ص ٢٠٤ .
١١ــ ابن خلدون ، المقدمة ، ٤٦٤ .
١٢ــ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٢١٩ فما بعد .

ومن الروايات تلك التي تدعي انسبب سقوطهمهو ميلهم الىالعلويين وهذه روايات ضعيفة موضوعة[١٣] وليس لها ما يبررهـا كما ان البرامكة يظهرون في روايات أخرى وكأنهم أعداء للعلويين[١٤] • على اننا لا نعتقد بأن البرامكة كانوا موالين سياسيا للقضية العلوية ، وربما أظهروا في مناسـبة أو أكثر تعاطفهم مع بعض العلويين أو سمحوا فيمجالسهم بمناقشة الافكار والآراء العلوية كما كانت تناقش آراء عديدة أخرى • وليس لدينا روايات موثوقةتدل على اخلاصهم للقضية العلوية أو ولائهم لشخصية سياسية علوية •

ولعل من الصواب ألا نعزو سـقوطهم الى عامل واحـد بعينه ذلك ان مؤرخينا الرواد يعددون أكثر من سبب لسقوط البرامكة • فالجهشيارييذكر أكثر من عشر مسائل اعتبرها أسبابا للسقوط ويعدد ابنخلدون أخطاء البرامكة التي يعتبرها المسؤولة عن سقوطهم • ويمكن تلخيص هذه العوامل في رأيه :

« باستبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية
حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المـال فلا يصل اليـه
فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم
تصرف في أمور ملكه •• »[١٥] •

وعلى هذا فالوقائع تثبت ان سقوط البرامكة لم يكن وليد انفعالمفاجيء من قبل الخليفة بل كان تدبيرا مخططا له ولدته أحداث تراكمت على بعضها

١٣ــ دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة القديمة ، مقالة (البرامكة) .
١٤ــ الجهشياري ، ٢٢٧ .
١٥ــ ابن خلدون ، المقدمة ، جـ١ ص ١٤ .

لعل أبرزها نفوذهم الكبير في البلاد والادارة والمجتمع • فكان جعفر البرمكي يتصرف وكأنه الخليفة • واجتمعت ليحيى البرمكي الوزارتان وهما ادارة الدواوين والخاتم • وكان الفضل يسمى « الوزير الصغير » لانه كان اداريا متنفذا وكان يحيى يرى بأن الفضل سيخلفه في المسؤولية •

ان هذه السطوة أثارت شكوك الرشيد وأذكت فيه تجاربه المريرة فحز ذلك في نفسه وشعر بأن كرامته قد أهينت وهو شيء كما يقول ابن الطقطقي « لا تحتمله نفوس الملوك » • وقد عبر الجهشياري عن موقف الرشيد قائلابأن الرشيد ندد بيحيى البرمكي متهما اياه « استبد بالامور دوني وأمضاها على غير رأيي وعمل بما أحبه دون محبتي »[١٦] •

واذا كان السبب الاول سطوتهم السياسية ونفوذهم الاداري فانالسبب الثاني هو جمعهم للثروة والاموال بين أيديهم وهـذا ما يبرر كثرة عطاياهم وسخاءهم الكبير الذي فاق عطايا الرشيد رغم ما يعرف عنه من الكرم • ويظهر من بعض الروايات انهم حجزوا عنه الاموال ولذلك اتهمهم بأنهم « نهبوا مالي وذهبوا بخزائني »[١٧] •

أما السبب الآخر فهو حبهم للنقاش والجدال في امور السياسة والعقيدة والكلام ويظهر ان مجالسهم كانت حافلة بالكتاب والادباء والمفكرين والشعراء وأصحـاب العقـائد والمـذاهب المختلفة وكانوا لا يتحرجون في نقـاش مسائل عديدة سياسية ومذهبية ، وتشير روايات تاريخية[١٨] ان جعفرالبرمكي

١٦ــ الجهشياري ، ص ٢٢٦ •

١٧ــ المصدر السابق ، ص ٢٤٢ •

١٨ــ المسعودي ، مروج ، جـ٣ ص ٣٦٩ ــ ابن النديم ، الفهرست ص ٢٥٠ •

كان يسمح للعلويين في حضرته لمناقشة مسائل تتعلق بالنص والاختيار والاحقية في الخلافة • وربما كان ذلك سببا في اتهامهم بالتشيع للعلويين أو للمعتزلة أو جعلهم من أنصار الزندقة أو المجوسية • والمعروف ان موقف البرامكة هذا كان على عكس موقف الرشيد الذي كان يتحرج في النقاش والجدال في الدين خاصة • ولعل موقف الرشيد الذي كان له ما يبرره يعود الى سبب ديني ذلك لانه يعتقد ان الجدال يؤدي الى الخلط والتشويه وخاصة على العامة من الناس كما انه يسمح لمذاهب هدامة معادية بالانتشار ، ويعود كذلك الى سبب سياسي لانه يعتبره خطرا على سلامة الدولة وأمنها لانه يؤدي الى استفحال التيارات السياسية المعادية ثم ضعف عوامل التماسك وغلبة عوامل الانفصام •

أما العامل الاخير في سقوط البرامكة فيعود الى ظهور تكتلات ضد كتلة البرامكة ولعل أبرز من يمثل الكتلة المعادية لهم هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الخليفة الذي سعى بهم وأوغر قلب الرشيد عليهم • كما أن عليا بن عيسى اتهم موسى بن يحيى البرمكي بمحاولة التآمر ضد الدولة في خراسان • وتكلم محمد بن الليث ضدهم وذكّر الرشيد بمسؤولياته تجاه الامة،وكانت البرامكة تكره ابن الليث هذا « لان فيه ميلا الى العجم » • كما ان البرامكة كانت منحرفة عن القائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني • ولم تكن علاقة زبيدة أم الامين ودية مع البرامكة وكانت تشكوهم باستمرار الى الخليفة الرشيد • هذا اضافة الى أن علاقة الفضل البرمكي بالخليفة ساءت بعد أن نكث الرشيد بعهده ليحيى بن عبدالله العلوي الذي استسلم للفضل البرمكي بعد أن أقنعه هذا الاخير بالعفو والامان • ولا ننسى كره بعض الهاشميين لهم كما ان ابن خلدون يقول : ان بني قحطبة وهم عرب يمانية كانوا أعداءً للبرامكة • ولعل هذه الروايات تشير الى أن للبرامكة ميلا الى العجم وانهم حاولوا ادخال مظاهر

الحضارة والقيم الفارسية الى المجتمع العربي الاسلامي الامر الذي انكرته وحاربته جماعات أخرى في البلاط والمجتمع[١٩] •

وأغلب الظن ان هذه العوامل الاربعة قررت مصير البرامكة حيث أمر الرشيد عام ١٨٧هـ/٨٠٣م بالقبض عليهم وصادر أملاكهم وضياعهم • وفي الليلة نفسها ١ صفر/٩ كانون الثاني أمر الخليفة بقتل جعفر البرمكي وعلق جثته على جسور بغداد • لقد صورت الشعوبية نكبة البرامكة وكأنها مذبحة مأساوية والواقع ان الرشيد لم يقتل منهم الا جعفرا أما يحيى والفضل فقد أمر بحبسهما وقد توفي الأول سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م والثاني ١٩٣هـ/٨٠٨م •

ولعل سقوط البرامكة بالسهولة هذه تدل على مدى قوة الخليفة العباسي ومدى وهن الآراء الاعتباطية التي تبرز دور الفرس في الحياة السياسية والادارية للدولة والخطأ الذي وقع به المؤرخون الذين ادعوا بأن الدولة العباسية قسمة بين العرب والفرس !• فقدكان العرب ولمّا يزالوا في عهدالرشيد أصحاب اليد الطولى في الأمر •

وقد استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع الذي بقي وزيرا حتى وفاة الرشيد • وكان الفضل قبل ذلك حاجبا لهارون الرشيد ، ويعد من الشخصيات ذات النفس العربي والولاء العراقي العباسي • ويعتبره المؤرخون من كتلة يزيد بن مزيد الشيباني وعبدالله بن خازم التميمي في البلاط العباسي • ولم يكن الفضل على صلات ودية بالخيزران والبرامكة وبعد وفاة الخيزران قال الرشيد للفضل : « يا فضل وحق المهدي، اني لأهم لك يوم توليت الخلافة بالشيء من التولية وغيرها فتمنعني أمي رحمها الله فأطيع أمرها •• فخذالخاتم من جعفر بن يحيى » •

١٩ـ فاروق عمر، سقوط البرامكة .. مجلة الرسالة الاسلامية،١٩٨٧، بغداد.

وقد شغل الفضل المكانة الاولى في البلاط العباسي ولكن الرشيد لم يجعل منه خلفا للبرامكة في مسؤولياتهم الواسعة بل أشـرك معه العديد من الشخصيات في الادارة والمالية والدواوين •

ويبدو ان مسؤولية الفضل الاولى كما يقول الجهشياري كانت[٢٠] :

« الاختصاص بخدمة الرشيد في بلاطه والاشراف على شؤونه الخاصة » •

ويمكن القول ان الفضل كان من خاصةالرشيد وكان يناديه«ياعباسي» • وقد وزع الرشيد الاعمال الادارية الاخرى في الحكومة المركزية على موظفين اداريين جدد لم يخدموا في زمن البرامكة[٢١] •

وقد اتبع الرشيد في ادارته للدولة سياسة أسـلافه من العباسيين وهي سياسة مركزية يعتبر فيها الخليفة رأس السلطة ويكون فيها الوزير ورؤسـاء الدواوين وولاة الاقاليم والعمال مسؤولين مسؤولية مباشرة أمامه •

واذا كان الجهاد ضدالعدو من أهم سماتعهد الرشيد وهو أمر سنفصّل فيه أثناء الكلام عن السياسة الخارجية ، فان من أبرز سمات عهده في سياسته الداخلية هي عمله على نشر الامن والاستقرار وتحقيق العدالة والازدهار في المجتمع • وقد سار الرشيد على نهج أبيه وجده في محاربة الزندقة والشعوبية والنظر في المظالم بين الناس • ورغم ان الرشيد أشرك البرامكة أول الامر في النظر بالمظالم الا انه عدل عن ذلك بعـد أن سمع ببعض التجاوزات • يقول

٢٠ـ الجهشياري ص ١٢٥ ، ١٣٥ .

٢١ـ فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية، بغداد، ١٩٨٦ ص١٢٩ فما بعد .

الجهشياري[٢٢] ان الرشيد سمع مرة ان يحيى البرمكي جلس للمتظلمين فقال الرشيد :

« فعل الله وفعل يذمه ويسبه ، استبد بالامور دوني ، وأمضاها على غير رأيي وعمل بما أحبه دون محبتي » .

كما ان قاضي القضاة أبا يوسف كان يشير على الرشيد بضرورة الجلوس للمتظلمين مرة أو أكثر في الشهر لما في ذلك من فائدة لتحقيق العدالة وخوف الظالمين من العقوبة فلا يتجاوزون على حقوق غيرهم .

وقد اعتاد الرشيد أن يجلس للمظالم في بغداد والمدن الاخرى التي يزورها مثل الرقة . وقد حاسب عليا بن عيسى بن ماهان واليه على خراسان حسابا عسيرا بعد أن تأكد من تقصيره وظلمه للرعية هناك .

وفي رواية للجهشياري ان الرشيد كان يرسل لجنة من المحققين للتحقيق في الشكاوى ضد الولاة والعمال والتثبت في الامر واعادة الظلامات . وكانت بعض اللجان سرية اذا كان الوالي من الهاشميين ويعود سبب سريتها الى طمأنة الناس على أنفسهم اذا ما شهدوا ضد والٍ متنفذ أو من الاسرة الحاكمة .

وحينما تشدد عامل الموصل على الخراج في مطالبة الناس بخراج عدة سنين سابقة مما اضطر بعض الاهالي الى ترك بلدتهم عزله الرشيد وأكد على خلفه بعدم ظلم الرعية وتحقيق العدالة بينهم[٢٣] .

٢٢ـ الجهشياري ، المصدر السابق .

٢٣ـ عطا سلمان جاسم ، النظر في المظالم ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١١٧ .

وسيرا على سياسة الادارة المركزية التي اتبعها خلفاء بني العباس الاوائل في عصر القوة والازدهار الحضاري كان ظهور منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية[٢٤] . والراجح ان مهمة قاضي القضاة هي الاشراف على كل ما يتعلق بشؤون مؤسسة القضاء في المركز والاقاليم ، وهو بذلك ينوب عن الخليفة في هذه المسؤولية ، كما يحقق نوعا من الانسجام والاتساق الاداري والتشريعي بين أقسام مؤسسته . ويبدو ذلك واضحا من قول الرشيد لفقيه من مكة دعاه لتولي منصب قاضي القضاة :

« اني قد وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق
لتقضي بينهم وتولي القضاة في البلدان والامصار من
تحت يدك وتوليتهم اليك وعزلهم عليك » .

والمعروف ان الرشيد كان أول خليفة أوجد منصب قاضي القضاة في بغداد وقد استمر هذا المنصب بعده . وهذا يدل على احترام الخليفة للعلماء والفقهاء وعنايته الكبيرة بتقصي أخبارهم وأمورهم . وكان لقاضي القضاة مهمات عديدة عدا تولية القضاة والاشراف على عملهم منها مشاورة الخليفة في شؤون الدولة والافتاء في المصالح التي تخص المجتمع والسفارة للخليفة في مهام معينة وكذلك القضاء بين الناس في مجلس حكمه الخاص به والاشراف على الوقف وأموال القاصرين واليتامى .

من ذلك كله يمكن أن ندرك بأن سياسة هارون الرشيد تعتبر خير نموذج لسياسة الدولة العباسية في عصرها الاول حيث يقول عنها كتاب الفخري[٢٥]

٢٤ـ راجع : الانباري ، منصب قاضي القضاة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٨٩ فمابعد .
٢٥ـ الفخري ، ص ١١٠ـ١١١ .

« ان هذه الدولة ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك » ويضيف مفسراً بأن الاتقياء وأهل الورع أطاعوها لموافقتها لمشاعرهم أما الآخرون فأطاعوها طمعا وخوفا • وقد بين أبو يوسف قاضي قضاة الرشيد في كتابه (الخراج) الذي كتبه للخليفة نفسه المبادىءوالاسس التي تستند اليها الحكومةالاسلامية الصحيحة التي تهتدي بهدي رسول الله (ص) والخلفاء الراشدين (رض) من بعده • ويؤكد البيت التالي الذي قيل في الرشيد النظرة نفسها• يقول الشاعر:

الله قلّد هاروناً سياستنا   لما اصطفاه فأحيى الدين والسننا

وقد أظهر الرشيد الكثير من الاحترام والتودد الى الليث بن سعد والشيباني وأبي البختري وغيرهم • وحين كان الرشيد يحج يصحبه العديد من الفقهاء مما يدل على أهمية منزلتهم عنده • وقد شدد الرشيد على أهل القدر والكلام ونفاهم وتعقبهم ومنع الكلام والتفلسف في الدين لان هدفالعباسيين كان الحفاظ على وحدة الامة وتماسكها وان التفلسف بالدين واستخدام أساليب الجدل والمنطق أربك المفاهيم الاسلامية السمحاء لدى العامةوجماهير الشعب • كما انه أدى الى تفريق الامة الى فئات وفرق بدأت الشقة تزداد بينها لاسباب ثانوية ليست من أصول الاسلام • كما ان هذا الوضع اُستغل من قبل الزنادقة والغلاة المتطرفين لتشويه العقيدة وتحريفها عنأهدافهاومقاصدها• واتبع الرشيد سياسة والده المهدي في تقريب أهل الحجاز وكسبهم الى جانبه فقد وضع لهم العطاء وأجزل فيه • وفي سنة ١٧٠هـ فرّق بينهم عطايا كثيرة وأموالا وفيرة ، وفي سنة ١٨٥ هـ أعطى الرشيد لاهل المدينة ثلاث أعطيات وأعطى أهل مكة عطاءين ، وذلك جزء من سياسة العباسيين الاوائل في دعم العروبة واسناد الثقافة العربية الاسلامية • وقد سار العديد من ولاة الرشيد سيرته فحين تولى علي بن سليمان العباسي اقليم مصر أظهر الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر فمنع الملاهي والخمور • وكان عامله على خراج المدينة عبدالرحمن بن أبي الزناد يستعين بأهل الورع والخير والحديث في الجباية •

وكان الرشيد متشددا مع الزنادقة حيث استثناهم من العفو العام الذي أصدره سنة ١٧٠هـ ولعل هذا التشددمع الزندقة (المانوية المجوسية) يدل على حالة الاضطراب والقلاقل التي بدأت تنتشر في الاقاليم الايرانية والتي كانت تحركها مبادىء مجوسية واضحة(٢٦) •



٢٦ـ عن سياسته الدينية راجع فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، جـ٢ وجـ٣ •

الفصل الثالث

سياسة الرشيد الداخلية

وصف المؤرخون هارون الرشيد بالحزم في السياسة ، كما قالوا عنه انه كان يتبع خطى جده المنصور ويقتفي آثاره ويطلب العمل بها[1] • واذا كانت سياسته قد تأثرت في الفترة الاولى من عهده بمراكز القوى والتكتلات في البلاط العباسي ، فقد استطاع الرشيد أن يخرج من ذلك كله بتجربة كبيرة جعلته من أميز الخلفاء وأفاضلهم كما يقرر ذلك السيوطي وابن طباطبا •

على ان عهد الرشيد ، كغيره من العهود ، لم يخل من الاضطرابات الداخلية في أرجاء الخلافة العباسية المترامية • وكان مبعث بعضها حركات التمرد الفارسية والاموية والخارجية والعلوية وغيرها وبعضها الآخر يعود الى اضطرابات قبلية أو حركات ذات طابع سياسي بحت يعود الى سوء ادارة بعض الولاة أو تذمر بعض الفئات •

ففي بلاد الشام انفجرت العصبيات القبلية بين اليمانية والقيسية سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م ثم تكررت سنة ١٧٦/٧٩٢م واشتدت سنة ١٨٠/٧٩٦م وقد

١ ـــ فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، ص ٨٣ •

أدى تفاقمها الى ارباك الادارة وأضعف من قوة السلطة المركزية مما دفع الرشيد الى ارسال جعفر البرمكي للسيطرة على الاقليم[٢] ، وقد نجح جعفر في استعادة الامن والاستقرار وذلك بتجريد القبائل من السلاح وقتل أهل الفتنة والمحرضين عليها والمنتفعين بها من (الزواقيل) واللصوص وبعض شيوخ القبائل مثل أبي الهيذام[٣] • وقد جلب جعفر البرمكي معه عددا من الزعماء الشاميين الى عاصمة الرشيد الذي قرر فرض الاقامة عليهم في بغداد كما انه اصطنع البعض الآخر حيث أصبحوا من خاصته والمقربين اليه •

وفي اقليم اليمن تمرد الهيصم الهمداني ومعه اليمانية سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وتمركز في الجبال الوعرة وكلما طال أمر حركته تجمع حوله عصاة آخرون فأيده عمر الحميري والصباح الذي اعتصم بناحية حرار • وقد استطاع حماد البربري ان يشتت شملهم بعد معركة قتل فيها الآلاف فانتهى التمرد بعد أكثر من تسع سنوات وقتل الهيصم في بغداد[٤] •

أما خراسان ذات الموارد البشرية والاقتصادية الكبيرة فقد بقيت موضع اهتمام الرشيد الا انه لم يحسن اختيار الولاة لها ولعل الدسائس وتكتلات البلاط لعبت دورها في قرارات الرشيد فيما يخص ادارة خراسان فقد عين خاله الغطريف بن عطاء على خراسان فكان سيئ السيرة والتدبير، ولكن الرشيد لم يعزله حتى اشتدت الفتن عليه • وفي سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م توجه الفضل البرمكي الى خراسان بعد أن عينه الرشيد عاملا عليها[٥] •

---

٣ ـ الطبري ، تاريخ ،جـ١٠ ص ٦٠ فما بعد .
٣ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ص ٤٩٤ .
٤ ـ المصدر السابق جـ٣ ص ١٤٣ .
٥ ـ الجهشياري ، ص ٢٢٨ .

ثم تعاقب على حكم خراسان ولاة آخرون حتى عين الرشيد عليا بن عيسى بن ماهان واليا عليها(٦) .

وكان تمرد رافع بن الليث بن نصر بن سيار الذي دعا فيها الى بني أمية في سمرقند هو الذي نبه الرشيد الى سوء ادارة علي بن عيسى . فقد استطاع رافع أن يهزم جيش علي في معركة ضارية زادت من انصاره حيث انضم اليه أهل نسف كما التحق به أعداد كبيرة من أهالي بخارا وخوارزم وفرغانة واشروسنة والختل وغيرها من أقاليم ما وراء النهر وبلاد الترك . وقد اضطر علي بن عيسى تجاه هذا الضغط العسكري أن ينسحب من بلخ الى مرو ولكن الرشيد لم يمهله طويلا حيث عزله وصادر أمواله وأرسل هرثمة بن أعين لتسلم الامر واصلاح الوضع ومعه كتاب العزل .

ولم يستطع الرشيد في حياته أن يقضي على الحركة ، وقد سار بنفسه الى خراسان فوافاه الاجل وهو في طريقه اليها وبقيت الحركة حتى ولاية المأمون سنة ١٩٥هـ/٨١٠م الذي استطاع بسياسته في استرضاء أهل خراسان أن يفرق اتباع رافع بن الليث ويكسبهم الى جنبه مما أدى الى استسلام رافع وذوبان معارضته .

أما أرمينية فقد انتشرت فيها القلاقل في عهد الرشيد وعمل هذا الخليفة على توطين قبائل عربية برمتها في أرمينية فكان كل وال يأخذ معه افخاذا من عشيرته فلما عين يوسف السلمي نقل اليها قبائل نزارية ولما تولى يزيد الشيباني جاء ومعه جماعة من ربيعة وجلب الوالي عبد الكبير الخطابي قوما من مضر . وهكذا فقد تنوعت قبائل العرب في أرمينية بعد أن كانت صفتها الغالبة قبل عهد الرشيد من القبائل اليمانية .

---

٦ ـ نفس المصدر السابق .

ومع ذلك لم تستقر الاوضاع في هذا الاقليم ، ويورد المؤرخون أسبابا لحركات الخزر[7] هذه منها الموت الفجائي لابنة خاقان ملك الخزر التي تزوجها الفضل البرمكي ومنها اثارة بعض العصاة والمتمردين العرب الذين دخلوا أراضيهم واستجاشوهم على التمرد على الوالي العربي.. على ان هذه العوامل وغيرها ربما كانت عوامل مساعدة ولكن الاهم من ذلك طبيعة الخزر وموقع بلادهم بين دولتين متعاديتين العباسية والبيزنطية فكانت كل منهما تستغلهم في مناسبات عديدة لمصلحتها ضد الطرف الآخر .

أما الاضطرابات في أفريقية[8] فقد استمرت الحرب سجالا مع الاباضية في ولاية يزيد بن حاتم المهلبي وابنه داود المهلبي.وفي سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م تحرك الجند بقيادة ابن الجارود وطردوا الوالي المغيرة بن بشر المهلبي ثم قتلوا الوالي الجديد الذي أرسل لتولي أفريقية واستمر ابن الجارود بالعصيان حتى أرسل الرشيد هرثمة بن أعين الذي فتح القيروان سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وسلم ابن الجارود نفسه لهرثمة فأرسله بدوره الى الرشيد.كما ثار تمام بن تميم التميمي بالقيروان يدعو الى بني أمية .

وهكذا فان تمرد الجند والتنازع على السلطة بين قادة الجيش حال بين السلطة وبين مقارعتها الحركة الاباضية في أفريقية التي استفحل أمرها في تونس. وقد عين الرشيد محمدا بن مقاتل العكي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م فتمرد عليه الجند لسوء سيرته وهنا برز ابراهيم بن الاغلب فقضى على حركة الجند ودخل القيروان مما دعا الرشيد الى تعيينه واليا على أفريقيا تخلصا من مشاكلها السياسية واعبائها المالية ! فقد تعهد ابن الاغلب أن يضمن الاستقرار ويستغني

---

٧ ـ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ورقة ٢٤٨ .
٨ ـ سعد زغلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي ، جـ٢ ، ص ١٣٧ .

عن الاموال التي تدفعها مصر الى والي أفريقيا سنويا كمعونة له وضمن فوق ذلك أن يدفع لبيت المال أربعين ألف دينار سنويا •

أما الحركات المناهضة للخلافة في عهد الرشيد فهي :

١ ـ الحركات العلوية :

بقيت التقاليد العباسية السياسية فيما يخص العلويين على حالها لم تتغير وهذه التقاليد ، كانت تتصف بالشدة حينا وباللين حينا آخر • على ان الخصام الذي وصل الى حد استعمال السيف كان بين السلطة وآل الحسن في العصر الاول أما في هـذا العصـر فان النزاع المسلح شـمل العلويين من حسنيين وحسينيين[٩] •

كان الرشيد مرنا في بداية عهده مع العلويين ومع غيرهم ، فافتتح عهده برفع الحجز عنهم واخلاء السجناء منهم وارسالهم الى المدينـة ، فيما عـدا العباس بن عبدالله • وقد ظهر ابراهيم بن اسماعيل الحسيني (طباطبا) وعلي بن الحسين بن ابراهيم الحسني ، اللذان كانا مختفيين عن الانظار • ويشير القمي الى أن الرشيد كان يسير حاجات آل أبي طالب وعيالهم • كما انه أطلق سراح يعقوب بن داود المعروف بميوله العلوية ، وسمح له بالسفر الى مكة ، حيث أقام هناك حتى وفاته •

الرشيد وآل الحسن :

شهد عهد الرشيد حركتين علويتين تزعمهما أبناء عبدالله المحض الحسني ، فقد استطاع أدريس بن عبدالله الحسني الذي أفلت من موقعة فخ ، وساعدته

---

٩ ـ حول مصادر هذه الحركات راجع : فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٤١ـ٢٤٣ .

الظروف في مصر ، حيث ساعده والي مصر في الهرب الى المغرب ، واستجابت له جماعات من البربر وغيرهم ، أن يكوّن كيانا سياسيا سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م • ولكن عهده لم يدم طويلا ، فقد توفي بطريقة غامضة سنة ١٧٧هـ ولكن أنصاره ثبتوا في أماكنهم ، ورعوا ولده الصغير حتى كبر ، واستمرت امارة الادارسة حتى سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥ •

وتختلف مصادرنا التاريخية حول الطريقة التي توفي بها ادريس الحسني، ولكن أوثق الروايات تشير الى ان الشماخ اليماني ارسل الى المغرب ، وأظهر التشيع ، واستطاع التغلغل الى أن أصبح من حاشية ادريس الحسني ، فمرض ادريس ، فوصف له الشماخ دواءً ساما قتله • أما الشماخ اليماني فهرب قبل الوفاة •

أما يحيى بن عبدالله الحسني فقد تحرك في بلاد الديلم سنة ١٧٦هـ •فقد كان ممن اشترك في موقعة فخ ، وهرب بعد فشلها، وقد طاف يحيى في الامصار فذهب الى اليمن وبلاد ما وراء النهر والديلم •

وقد أرسل الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي بجيش كثيف وولاه« جميع كور المشرق وخراسان ، وأمره بقصد يحيى والجد به وبذل له الامان والصلة ان قبل ذلك » •

ويظهر ان يحيى الحسني كان مثل أخويه محمد النفس الزكية وابراهيم، في طبيعته وأساليبه في السياسة،ولذلك لم يستطع أن يستمر في استقطاب أتباعه وتزعمهم لمدة طويلة • يقول الاصفهاني : ان يحيى بدأ يفكر بالاستسلام « لما رآى من تفرق أصحابه وسوء رأيهم فيه وكثرة خلافهم عليه » • ولا ننسى إن مكر الفضل البرمكي والاجراءات التي مارسها حيث استطاع أن يكسب صاحب الديلم نفسه ، الذي كان حليفا ليحيى الحسني ، كل ذلك أقنع يحيى

بقبول الصلح بشرط أن يكتب الخليفة أمانا بخطه وأن يشهّد عليه الهاشميين والقضاة . فرضي الرشيد بالشرط ، وكتب أمانا أرسله الى يحيى • واستمر الفضل يقنعه « حيث واصل كتبه الى يحيى ورسله بالرفق والاستمالة والتحذير والترغيب والترهيب وبسط الامل » حتى أجاب يحيى الى الصلح •

وتشير بعض الروايات الى وجود رسائل متبادلة بينه وبين الرشيد ، ولكن مصادر أخرى لا تذكرها ، ولذلك نرى بأنها موضوعة وغير صحيحة تاريخيا . خاصة انها تسير على نمط الرسائل التي تبودلت بين محمد النفس الزكية والمنصور • كما انها تذكر دون سند بل تقول : « روى بعض أصحابنا» ومن ذكر منهم من الرواة لا نعرف عنهم شيئا في كتب الرجال •

وبقي الخليفة يراقب يحيى الحسني عن كثب حتى جاءته سعاية بعض أعدائه ، فيروي الاصفهاني ان جماعة من أهل الحجاز سطوا عليه وشهدوا بأنه يدعو الى نفسه ، وفي رواية للطبري ان الساعي هو عبدالله بن مصعب الزبيري • فوضعه الرشيد تحت مسؤولية جعفر البرمكي الذي لم يكن متشددا معه • وقد أفتى أبو البختري ببطلان الامان قائلا : « هذا باطل منتقض قد شق عصا الطاعة وسفك الدم فاقتله ودمه في عنقي» •

وقد توفي يحيى الحسني في ظروف غامضة ، والى ذلك يشير الاصفهاني : « واختلف الناس في أمره وكيف كانت وفاته » • والظاهر ان الرشيد ناظره أكثر من مرة ، وفي احدى هذه المرات علق على حالته قائلا : « أما ترون به ... علة . هذا الآن ان مات قال الناس سموه ..»

ويظهر ان الرواة خلطوا في رواياتهم بين يحيى الحسني وموسى الكاظم حيث نسبت بعض المناظرات وظروف القتل مرة الى الاول ومرة الى الثاني ،

ولعل معاصرتهما للرشيد وتقارب زمن وفاتهما أدت الى هـذه الشبهات بين الرواة .

٢ ـ الحركات الخارجية :

وكان عهد الرشيد من العهود التي شهدت تفاقم الحركة الخارجية حيث تعددت ثوراتهم وشملت جهات مختلفة من الخلافة العباسية[١٠]، فثار الصحصح الخارجي في الموصل سنة ١٧١هـ وثار الفضل الخارجي في نصيبين سنة ١٧٦هـ وثار الوليد بن طريف الشاري سنة ١٧٨ هـ في الجزيرة الفراتية، وثار حمزة بن عبدالله الازرق الشاري في سجستان سنة ١٧٩ هـ وخرج خراشة الشيباني في الجزيرة الفراتية سنة ١٨٠هـ وخرج عبدالسلام الخارجي بآمد سنة ١٨٧ هـ وقد اضطر الخليفة الرشيد بسبب كثرة الاضطرابات واعتصام الخوارج بالموصل الى هدم سورها سنة ١٨٠ هـ يقول الازدي[١١] :

« وفي سنة ثمانين ومائة شخص هارون الرشيد يريد الموصل .. وأمر بهدم سور المدينة ونادى مناديه : من هدم ما يليه من السور فهو آمن فهـدم الناس سورهم بأيديهم » .

الخوارج في المشرق :

حركة حمزة بن عبدالله بن الازرق الشاري :

وكانت حركة حمزة بن عبدالله الشاري[١٢] احدى الحركات الخارجية التي ظهرت في سجستان (سيستان) سنة ١٧٩هـ/٧٩٥ـ٧٩٦م ، حيث أعلن نفسه

١٠ـ قحطان الحديثي ، حركات الخوارج في خراسان .. مجلة آداب البصرة ٦، ص ٥ـ١٧ .
١١ـ الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٦١ .
١٢ـ الطبري ، جـ٣ ص ٦٣٨ ـ تاريخي سيستان ، طهران ، ص ١٥٦ فما بعد .

أميرا للمؤمنين سنة ١٨١هـ ولم تستطع السلطة العباسية القضاء على حركته نهائيا حيث قام بهذا العمل نيابة عنها الطاهريون والصفاريون ، وهي أسر تتوارث الحكم في بعض الاقاليم الايرانية وتعهدت بالقضاء على حركات التمرد والعصيان وضمان الامن والاستقرار ، ولكن هذه السلالات الحاكمة ما لبثت أن انشقت عن الخلافة العباسية •

ويعتبر تاريخي ـ سيستان المكتوب باللغة الفارسية المصدر الوحيد الذي يفصل في سرد وقائع حركة حمزة الشاري • وكما هي العادة في التواريخ المحلية فان مؤرخ تاريخي سيستان يظهر عطفا نحو الحركة وتجاوبا معها ضد السلطة المركزية العباسية • ويحتوي الكتاب على مادة مفيدة عن تفسيرالحركة وأحداثها حتى اضمحلالها وتلاشيها[١٣] • وتشترك هذه الحركة مع أغلب الحركات الخارجية في هذه الفترة باعتمادها على شخصية زعيمها ، فما أن يقتل الزعيم حتى يتفرق الاتباع الى أن يظهر قائد جديد يجمع الشمل ويوحد الكلمة في تمرد جديد • ولا شك أن حركة حمزة الشاري في سجستان ضمت اليها اضافة الى الخوارج الكثير من المتذمرين من السياسة العباسية ، فهي كالحركات الدينية ــ السياسية التي ظهرت قبلها وبعدها في ايران ، رفعت شعارات مختلفة ، منها عقائدية ، ومنها اقليمية ، ومنها مصلحية لتجذب أكبر عدد من الاتباع • وبمعنى آخر فان الحركة اضافة الى صيغتها الخارجيةعبرت عن مشاعر أهل سيستان وآمالهم ومصالحهم • وحين أحس الرشيد باستفحال الحركة واعلان حمزة الشاري نفسه أميرا للمؤمنين ، كتب اليه رسالة يدعوه الى التوبة والعودة الى الجماعة وقد أجابه حمزة على كتابه هذا بكتاب طويل

١٣ــ Sarcia, Lo Scambio ... Anuall... Napoli, 1964, P. 623.

وتبودلت الرسائل بين الطرفين دون جدوى • ووقعت في المشرق حركات خارجية أخرى ولكن لم يكن لها آثار سياسية كبيرة •

خوارج الجزيرة الفراتية :

استمرت الحركات الخارجية تظهر الواحدة تلو الاخرى في هذا الاقليم رغم جهود الخلفاء العباسيين الاوائل في كسر شوكتها ومحاولة التخفيف منها• ومن أبرز الحركات التي ظهرت خلال هذه الفترة •

حركة الصحصح الشيباني سنة ١٧١ هـ ، وكانت معاركه سجالا مع الروابط العباسية في الجزيرة حتى قضى على حركته أحد قواد الرشيد ، وهو نصر بن عبدالله الضبي(١٤) •

وتحرك الفضل بن سعيد الرادني سنة ١٧٣هـ وفرض الاموال على مدن عديدة ، وجعل من نصيبين قاعدة لاتباعه ، ثم تحرك العطاف بن سفيان الازدي الشاري(١٥) سنة ١٧٧هـ في مدينة الموصل وجبى مناطق عديدة ، واستفحلت حركته مما دعا الرشيد الى السير نحو الموصل وهدم سورها سنة ١٨٠ هـ • وقد حاول العطاف الازدي أن يكمن للخليفة فيقتله مع أصحابه ، ولكن شيوخ الموصل وصلحاءها اجتمعوا وناشدوه انينصرف عنهم حتى تنتهي زيارةالخليفة فخرج العطاف مع أتباعه وسار الى أرمينية •

١٤ـ الازدي ، تاريخ الموصل ، ٢٦٧ • ـ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ص ٨٧ـ
١٥ـ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ص ٨٧ •

وتحرك الوليد بن طريف الشاري سنة ١٧٧هـ[١٦] أو بعـد ذلك بقليل ، وبدا يستجمع الاتباع في منطقة الجزيرة ويهاجم روابط السلطة العباسية،وقد فتت جيوشا عباسية متعاقبة ، ورفع شعار رفع الظلم ، حيث قال :

أنا الوليد بن طريف الشاري ظلمـكم أخـرجني من داري

وقد نهب الوليـد الشاري العـديد من المـدن والقـرى في الجزيرة الفراتية،وكان ولاة المدن أو زعماؤها يفدون على المدن بكميات تختلف بسنتها من المـال .

وقد امتدت حركة الوليد الشاري الى اذربيجان ، ويشير الازدي الى انه دخل أرمينيا كذلك ، وازداد أتباعه خاصة من بني ربيعة ، ثم انحدر بعد ذلك الى جنوبي العراق (السواد) ولكنه عاد الى منطقته الاصلية،الجزيرة الفراتية، حيث حاصر مدينة نصيبين وأباحها حيث قويت حركته ، ويشـير الطبري الى ذلك قائلا :

« واشتدت شوكته وكثر تبعه »

وهنا أرسل الرشيد القائد يزيد بن مزيـد الشيباني فبـدأ يلاحق الوليد في تنقلاته دون جدوى ، وحين طال الامد تدخلت تكتلات البلاط وما عرف فيها من حزازات ، فأظهر البرامكة أعداء يزيد الشيباني بأن هـذا القائد يماطل ويراوغ ولا يرغب في مواجهـة الوليد الشاري، خاصة وان كلا من يزيد الشيباني والوليد من قبيلة واحدة ، وقد عنف الرشيد قائده برسـالة شديدة قال فيها :

١٦ـ الازدي ، ص ٢٨٠ فما بعد . ـ ابن خلكان، وفيات، جـ٢ ص ٢٨٣ فمابعد . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٢ . ـ ابن الاثير ، جـ٦ ص ٩٧ .

« لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ،
ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن
أخرت مناجزة الوليد ليبعثن اليك من يحمل رأسك .. » .

وكانت الملاحقة شديدة ومتعبة حتى التقى يزيد الشيباني بالوليد شمالي هيت الفرات ، فانقض عليه ولم يفلت ، وقتله وجماعة من أصحابه . وتشير روايات أخرى بأن الاعراب الذين كانوا في معيته قتلوه غيلة وسلموا رأسه الى يزيد الشيباني ، وكان قتله سنة ١٨٩هـ/٧٩٥م .

وقد ارسل رأسه الى الرشيد الذي اعتمر شكرا لله على ما بلاه وكفاه.

ان حركة الوليد الشاري استمرت مدة طويلة قاربت عشر سنين ، ولم تكن لتنتهي لولا حكمة يزيد الشيباني ونجاحه في كسب العديد من اتباع الوليد ، واستمرار الضغط عليه وملاحقته أينما ذهب . وقد أحسن الرشيد صنعا باختياره قائدا من ربيعة وهي قبيلة الوليد الشاري نفسها ، وفي ذلك قال الشاعر :

لا ترسلن الى ربيعة غيرها   ان الحديد بغيره لا يفلح

وقد رثت الفارعة بنت طريف التغلبي أخاها الوليد بقصائد رائعة تقول فيها :

أيا شجر الخابور ما لك مورقا   كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد الا من التقى   ولا المال الا من قنا وسيوف

وحين استقبل الرشيد يزيد الشيباني في البلاط تبسط معه ورحب به ، وسماه « الاعرابي » وداعبه قائلا : ما أكثر أمراء المؤمنين في ربيعة ؟

فقال يزيد : نعم يا أمير المؤمنين ، ولكن منابرهم الجذوع !!

الامامة الاباضية في عمان :

ان دراسة التاريخ السياسي لاقليم عمان لا يمكن أن يتم كما يشير الى ذلك ولكنسون[١٧] دون دراسة اصول التنظيمات القبلية وانماطها وعلاقةذلك بالامامة ذلك لان هناك ثلاثة ظواهر تتحكم من تاريخ هذا الاقليم : القبلية ـ الامامة ـ ثم الصراع بين العمانيين والاجانب للسيطرة على الساحل العماني لاهميته الاقتصادية .

وقد استطاع بنو الجلندي الازديون طرد الفرس من الاقليم والسيطرة على عمان بما فيه من جبال وصحارى ، بينما بقيت جماعات فارسية غازية تتمركز على الساحل[١٨] .

ولا تشير مصادرنا بصورة دقيقة متى أصبحت الاباضية العقيدةالواسعة الانتشار في عمان ويرى الدكتور باثيرست[١٩]، انه ربما كان هناك أئمة خوارج قبل الاباضية .

على اننا نعتقد بأن تأسيس الامامة الاباضية يعود في الاعم الاغلب الى الاندحارات التي منيت بها الحركةالاباضية في اليمن والحجاز،وهرب الخوارج الذين اشتركوا في هذه الثورات الى اقليم عمان . ولم يتم تكوين هذا الكيان السياسي الاباضي الا بعد سقوط الامويين ومجيء العباسيين حيث انتخب خوارج عمان الجلندي بن مسعود اماما أولا حوالي ١٣٥هـ/٧٥٢م ، أو قبل ذلك بقليل[٢٠] ، ولكن لماذا اقليم عمان ..؟؟

١٧ـ ولكنسون ، الامامة الاباضية ، ص ٦٧ .

١٨ـ الازكوي ، كشف الغمة ، مخطوطة .

١٩ـ Bathurst, Maritime trade... P. 90.

٢٠ـ F. Omar, The Abbasid Caliphate ... P. 289.

ربما يعود ذلك كما ذكرنا الى وجود جماعات خارجية في هذا الاقليم قبل هذا التاريخ •

هذا اضافة الى أن قبائل الازد اليمانية اعتادت على نوع من عدم الخضوع للدولة المركزية ، ولعل الشواهد في صدر الاسلام تثبت صعوبة السيطرة على قبائل هذا الاقليم •

ولكن الاهم من هذا وذاك هو الموقع الجغرافي وصعوبة الطبيعة ووعورتها في هذا الاقليم • موقع جغرافي ممتاز يتحكم بمدخل الخليج العربي ، ويقابل البحر العربي الذي يتصل بالمحيط الهندي ذي الاهمية التجارية والاستراتيجية[٢١] • أما في الداخل فالاقليم يختلف في طبيعته من جبال وعرة ، الى سهول منبسطة خصبة ، الى صحراء جرداء قاحلة ، ولهذا فيمكننا تشبيه عمان بجزيرة يحدها البحر من الشرق والجنوب ، وتحدها الصحراء (البحر الرملي) من الغرب فتفصلها عن بقية الجزيرة العربية •

لقد أثرت هذه الطبيعة الجغرافية على أهل عمان ، فقد أخذوا على البحر وعرفوا بكونهم مهرة ، ولكن لم يشغلهم البحر عن ارتباطاتهم الوثيقة باخوانهم ببلاد العرب ، وخاصة حضرموت فكانت هناك أعداد كبيرة من أبناء القبائل اليمانية المهاجرة الى عمان قبل الاسلام[٢٢] وبعده وقد ساعدت الجبال الشاهقة والوعرة سكان هذا الاقليم على الاعتصام بها في حالة دخول أجنبي غاز عبر الخليج العربي • وبعد أن ينظم العمانيون أنفسهم ويستعدوا للمجابهة ، يهاجمونهم ويجبرونهم على ركب البحر والعودة من حيث أتوا • وفي هذا المجال ابتدع العمانيون أسسا وطرقا بحرية للدفاع عن بلدهم والتصدي للمعتدين !!

٢١- Harrison, The Arabs of Oman, M.W., P. 262.

٢٢- الازكوي ، المصدر السابق ، (الباب الرابع) •

ومنذ تأسيس الامامة الاباضية أو كما يسمونها هم « الامامةالاسلامية» ببيعة الامام الاول الجلندي ، لم تشهد عمان استقرارا كافيا ، بل تناوبت فيها السلطة بين الائمة وبين ولاة السلطة العباسية .

فقد استطاعت الخلافة العباسية في عهد أبي العباس أن تعيد سلطاتها على عمان سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م حيث أرسلت جيشا بقيادة حازم التميمي استطاع أن يسقط الجلندي بن مسعود[٢٣] .

ثم عادت الامامة الاباضية لتحكم الاقليم في عهد الرشيد حوالي سنة ١٧٧هـ أو قبل ذلك بقليل حيث حكم البلاد خمسة أئمة متتابعين حتى ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م ، واستطاعت حينذاك صد هجمات السلطة العباسية والقراصنة على الساحل العماني .

الا أن العصبيات القبلية والاضطرابات الداخلية أدت الى سقوط آخر هؤلاء الخمسة فتردت البلاد الى حالة الارتباك وعدم الاستقرار ، كان نتيجتها استنجاد النزارية بوالي البحرين العباسي سنة ٢٨١هـ/٨٩٣/٨٩٤م.

وقد نجحت السلطة العباسية من اكتساب الاعوان من زعماء القبائل والشيوخ المحليين ليكونوا سندا لها ضد الاباضية ورغم ذلك فان أعوان الخوارج وأنصارهم كانوا كثرة في هذا الاقليم وبقوا الى فترة متأخرة .

ان الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار ومضايقات السلطة العباسية والقرامطة لم تؤثر كثيرا في تجارة عمان[٢٤] . فقد استمرت التجارةفي ازدهارها وجلبت لهذا الاقليم أحيانا ، وفرة ورخاء .

٢٣ـ المصدر السابق .

٢٤ـ Bathurst, op. cit., p. 91.

نشوء الإمامة الاباضية في المغرب الاسلامي وعلاقة ذلك بالمشرق :

تؤكد مخطوطة الازكوي دور البصرة في نشر العقيدة الخارجية الاباضية بالمغرب الاسلامي ، وفي المؤلف باب ضمن ذكر انتشار المذهب الاباضي بأرض المغرب وذكر أئمتهم وعلمائهم وقبل أن نستشهد بنصوص تاريخية من هـذه المخطوطة ، نود أن نشير ، بأن أرض المغرب كانت أرضا خصبة لنشر العقيدة الخارجية حيث انتشر المذهب الاباضي في مناطق شاسعة رغم انها متناثرة .

وبقدر ما يتعلق الامر بالاباضية موضوع بحثنا، فقد انتخب أبو الخطاب أول امام سنة ١٤٠هـ/٧٥٧ـ٧٥٨م.وبعد ذلك بأربع سنوات (سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م ، أسس عبدالرحمن رستم حكما اباضيا في تاهرت ، كتب له في المستقبل، أن يؤثر في مجموع الحركة الخارجية في أفريقيا ، وتمتع أئمة تاهرت بشهرة واسعة وصلت المشرق العربي وتشير روايات عديدة الى بعثات ذهبت من المشرق الى ابن رستم ، محملة بالنقود المالية والهدايا العينية[٢٥] .

ويظهر ان خوارج المشرق العربي من الاباضية خاصة رأوا في تأسيس الامامة الخارجية في المغرب امكانية احياء العقيدة الخارجية الاباضية ولذلك ارتأوا مساندة الحركة الخارجية بالمغرب بالمال والنصح منـذ السنين الاولى لحكم العباسيين .

العباسيون وخوارج افريقية :

لقد أصبح أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح اماما للخوارج الاباضية في طرابلس وكوّن كيانا سياسيا يمتد حتى مدينة قابس ، ثم انضم اليه المغرب الاوسط،واستطاع أن يتغلب على ورفجومة التي كانت تدين بالمذهب الخارجي الصفري . وقد أرسل المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي بجيش كبير للقضاء

٢٥- Vaglieri, Le Vicande..., R.S.O., 1949, P. 33.

على أبي الخطاب، وكان ابن الاشعث قائدا مجربا يتمتع بدهاء وخبرة ، واستطاع أن يكيل لابي الخطاب وأتباعه ، ودخل معهم في معركة رهيبة انتهت بقتل أبي الخطاب وارسال رأسه الى المنصور ، وكان ذلك في ربيع الثاني سنة ١٤٤ هـ •

ولكن أفريقية بقيت مضطربة كثيرة القلاقل ، ولعل كثرة عزل الولاة العباسيين وتعيينهم يعتبر مؤشرا بارزا على عدم الاستقرار • فقد استمر عبدالرحمن بن رستم والي أبي الخطاب على أفريقية في بث المذهب الخارجي في المغرب الاوسط ، وتمركز بتاهرت ، في منطقة ذات جبال وعرة شاهقة، مما جعل مهمة ابن الاشعث في القضاء عليه مهمة صعبة • وفي سنة ١٤٨ هـ بايعت زناته القبيلة البربرية الكبيرة العدد ابا قرة الصفري اماما لها ، وبهذا أصبح المذهب الخارجي الصفري منتشرا في المغرب الاوسط والاقصى ، ولكن الوالي العباسي الاغلب بن سالم هاجمه سنة ١٥٠هـ دون أن يلحق به خسارة كبيرة(٣٦) •

ان العصبيات القبلية وسوء علاقة الولاة بالقادة والجند كانت حجر عثرة في سبيل تحقيق أهداف السلطة المركزية العباسية في القضاء على الخوارج • ثم ان الذي يسترعي النظر تحالف عبدالرحمن بن رستم الاباضي مع أبي قرة الصفري في حروبهما ضد العباسيين • فقد استنجد أبو قرة الصفري عدة مرات بالاباضية التي كانت مددا وسندا له في أثناء الحملة التي قادها الوالي العباسي عمر بن حفص هزارمرد ، بل ان المقاييس العسكرية انقلبت حين استطاع الخوارج من أباضية وصفرية محاصرة عمر بن حفص في القيروان وقتله في معركة حامية •

٣٦ــ دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، جـ٣ ، ص ٣٥ .

والواقع فان الوالي العباسي الذي استطاع أن يضبط أمور أفريقيا هو يزيد بن حاتم المهلبي ودامت ولايته خمس عشرة سنة من (١٥٥هـ-١٧١هـ) وقد تمسك الخلفاء العباسيون به ، وبعد وفاته اختار الرشيد لافريقيا داود بن يزيد المهلبي لمرافقته لوالده .

على أن أفريقية تحركت بعد وفاة يزيد المهلبي فثارت الصفرية بجبال باجة وتمردت الاباضية في نفزار فولى الرشيد روح بن حاتم المهلبي سنة ١٧١هـ ، وجهزه بجيش كثيف ليهدىء الحالة ، وقد حاول هذا الوالي أن يقر الاوضاع على حالها فلم يستفز الاباضية في تاهرت ولا الصفرية بجبال باجة .

وهكذا انقسم الاقليم الى مناطق نفوذ عباسية وخارجية وادريسية (نسبة الى ادريس الحسني) . وبقيت الحالة هادئة حتى انتفض ابن الجارود سنة ١٧٧هـ ثم في سنة ١٨٣هـ خرج تمام بن تميم على الوالي محمد بن مقاتل العكي ، ودخل القيروان وعزل الوالي العكي ، وكان تعيين الرشيد لابراهيم بن الاغلب بداية نشوء الامارة الاغلبية سنة ١٨٤ هـ واستقرار الاوضاع السياسية والادارية هناك . لقد أرسل العباسيون صناديد قادتهم من العرب لضبط الحالة في أفريقية والمغرب ، ورغم ان عددا منهم نجح في تهدئة الحالة ، لكن الهدوء كان وقتيا ، مما دعا السلطة العباسية الى الاعتراف بالامر الواقع والقبول ضمنا بتقسيم أفريقية الى مناطق نفوذ متعددة . ولعل ذلك كان السبيل الوحيد أمام العباسيين للحفاظ على ما تبقى لهم من سلطة في أفريقية .

ولقد بقيت هذه الحالة سمة بارزة لاوضاع أفريقية خلال عهد هارون الرشيد .

٣ ـ الحركـات الامويـة

الحركات السياسية[٢٧] :

لم يستطع أهل الشام أن ينسوا مميزات الامويين وفضائلهم على القبائل العربية السورية بصفة خاصة • فلقد تمتعت بلاد الشام بأوج عزتها السياسية وازدهارها الاقتصادي خلال القرن الذي حكم فيه الامويون ، وتولاها معاوية وحده أربعين سنة ، عشرين سنة أميرا وعشرين سنة خليفة، لم يكن فيها متزمتا ضيق الفكر، طور الادارة مقتبسا ما عند البيزنطيين من مظاهر ايجابية محتفظا بتقاليد العرب المسلمين في الشورى واستشارة أرباب الرأي ، فانجذبت اليه قلوب الزعماء وأهل الكفاءة والهمة ، ونجح في أن يستميل الآخرين بالعطاء أو الاقناع أو الاغضاء أو الوعيد والارهاب ، ولعل سياسته تظهر من قوله :

« لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع
سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس
شعرة ما انقطعت » •

وبث معاوية لنفسه وأسرته دعاية واسعة ، وركز على بلاد الشام وأهلها ، واستخدم في ذلك القصاص في المساجد والاماكن العامة والاسواق وقد سار العديد من خلفاء الامويين سيرة معاوية ، من حيث المرونة السياسية واصطناع الآراء التي تتمثل بقوله : « اني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا» فلا يستغرب أن يتعلق أهل الشام بذكرى الامويين ويستمروا في حركاتهم السياسية والسفيانية ضد العباسيين • وبقدر ما يتعلق الامر بموضوعنا فان عهد الرشيد شهد العديد من هذه الحركات في بلاد الشام :

٢٧ـ حول الحركات الاموية ومصادرها انظر : فاروق عمر ، الخلافة العباسية، ص ٢٧٩ فما بعد (طبعة بغداد ١٩٨٦) .

ففي سنة ١٧٦ هـ ثارت الفتنة بين اليمانية والقيسية ، وقتل من الطرفين ما يقدر بألف رجل ، ويعلق ابن كثير على هذه العصبيات القبلية فيقول : « أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية » ولما تفاقمت أرسل الرشيد موسى بن يحيى البرمكي فأقر الاوضاع ونفى جماعة من رؤسائهم الى بغداد .

وفي سنة ١٨٠ هـ تحرك أبو الهيذام شيخ القيسية (المضرية) وأحد فرسان العرب البارزين فهزم جيوش السلطة العباسية ، مما دفع الرشيد الى ارسال جعفر البرمكي فأصلح الحالة وقتل زواقيلهم والمتصلصة منهم .

ولم تهدأ الحال بل اضطربت الشام سنة ١٨٧هـ . ولا بد أن نلاحظ ان سبب هذه الفتن كان يعود الى سوء تصرف الوالي العباسي وتعصبه لبعض القبائل . يقول ابن عساكر عن الوالي سهل بن خازم بن خزيمة : « وذكروا منه تعصبا » . فارسل الرشيد محمد بن منصور ليتحمل ديات القتلى من بيت المال ، ويولي من يختار الفريقان اليمانية والمضرية .

وثار أهل حمص سنة ١٩٠ هـ ، ولكن الفتنة انطفأت بسرعة ، وفي سنة ١٩١هـ تحرك أبو الفدا في الشام ، ولم تنته هذه الفتنة حتى تحرك أهل حمص سنة ١٩٤هـ فقاتلهم الامين حتى طلبوا الامان .

من ذلك كله ندرك بأن عوامل كثيرة تداخلت مع الولاء الاموي فجعلت من الشام مسرحا للقلاقل ، منها العصبيات القبلية القديمة بين اليمن ومضر ، والصراع على النفوذ والسلطة بين زعماء القبائل والمتنفذين ، وعدم تحمل هؤلاء للجند الخراساني ، اضافة الى تعصب الولاة العباسيين وتفضيلهم قبيلة على أخرى وسوء ادارتهم .

فرق موالية للامويين :

ظهر الميل للامويين في صور أخرى تتمثل في مواقف لفئات مختلفة معارضة للسلطة العباسية :

أولها : النابتة وهي الفئة التي ظهرت في أواخر القرن الثاني ولكنها تبلورت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي مناوئة للعباسيين سياسيا والمعتزلة والعلويين في آرائهم الدينية ـ السياسية ، ولذلك وجدت في الموالاة لمعاوية والامويين رمزا لمعارضتهما وتعبيرا عن شخصيتها المعنوية •

وفي اللغة النابتة هم الجيل الناشيء الجديد ، وعلى ذلك فهي تدل على الفئة الجديدة في المجتمع التي بدأت تظهر مع بداية القرن الثالث الهجري وتسمع أصوات التذمر من أوضاعها • على أن كتاب الفرق أطلقوا لانفسهم العنان في استعمال هذا الاصطلاح، فاتهم ابن الراوندي المعتزلة بأنهم نابتة • أما الجاحظ فقد أزعجه أن يكون هناك ارتباط بين هذه الفئة من أهل السنة وبين الامويين، فاتهم النابتة بالمروق والتمادي في الخطأ لانهم رفضوا أن يتهموا ملوك الامويين ويدينوا جرائمهم • وقد حاول الجاحظ أن يربط بين النابتة والرافضة ، وادعى بأن هناك الكثير من نقاط الاتفاق بينهما •

ورغم ان الجاحظ كتب بعد عدة حقب من اعتلاء العباسيين للحكم حينما تبلورت حركة الشيعة الاموية وتطورت الى حركة دينية ـ سياسية ، فان كتاباته تعكس كل الحركات الموالية للامويين منذ بداية الدولة العباسية • فلقد كان أنصار الامويين قسمين :

الاول : الفئة التي توالي الامويين سياسيا ، وقد ظهرت بصورة مبكرة كما لاحظنا سابقا •

الثاني ـ الفئة التي ظهرت متأخرة واتخذت من معاوية مثالا يحترمون ذكراه للتقليل من شأن معارضيهم من عباسيين وعلويين ومعتزلة • وكان على هذه الفكرة الكرامية في سجستان وخراسان والحنابلة في اصفهان والري وفارس •

ان هذا الاتجاه بدأ ظهوره في فترة مبكرة حيث تشير رواية الى أن المأمون قرر أن يصدر أمرا بلعن معاوية في المساجد ، ولكن القاضي يحيى بن أكثم أشار

عليه بخطورة ذلك لانه سيثير عواطف الناس ، كما ان الموالاة للامويين لابد أن يكون لها جذور تاريخية عريقة ، ففي رواية المسعودي ان (أشـياخا من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة حلفوا لابي العبـاس السـفاح انهم ما علموا للرسول قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية) • وربما كانت هذه خطة عمل لها الامويون عن طريق القصاص والرواة وأئمة المساجد وغيرهم •

وقد استمرت الاشادة بالامويين واظهار فضائلهم ومزاياهم: يقول المسعودي: انه قرأ في كتاب حين كان في طبرية سنة ٣٢٤هـ عنوانـه (البراهين في امامـة الامويين ونشر ما طوي من فضائلهم) • وأشهر من عرف بالدفاع عن صحـة امامتهم ابن حزم الذي والى الامويين في المشرق والمغرب (الاندلس) وفضلهم على سواهم من قريش • كما يدافع ابن عذارى عنهم وحين يقارنهم بالعباسيين يبرر اختلاطهم بالناس ونفعهم لهم ، بينما حجب العباسيون أنفسهم عن الناس وابتدعوا تقاليد أذلت الرعية وجعلت من العباسيين جبابرة •

* * *

الفصل الرابع

سياسة هـارون الرشـيد الخارجية

مقدمة :

ان المشكلة التي تواجهنا عند البحث في طبيعة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب مشكلة معقدة[١] ، فالنصوص التي لدينا غامضة ومقتضبة[٢] ، وقد حملها المؤرخون أكثر من طاقتها ، ولم يعد بعض ما استنتجوه يدخل في باب الاستنتاج المنطقي .

ثم هناك التحيز[٣] .. فقد اعتادت اوروبا الغربية خاصة بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي على مستوى حضاري امتاز بتفوقه المادي والثقافي. وقد نسي مفكرو اوروبا وكتابها أو تناسوا المستوى الحضاري الواطىء الذي عاشته مجتمعاتهم في العصور الوسطى[٤] . بل انهم لم يتحملوا حتى التفكير في

---

١ ــ راجع مقدمة كتاب دراسات في تاريخ فلسطين بغداد ١٩٧٣ .

٢ ــ نفس المصدر السابق .

٣ ــ فاروق عمر ، تاريخ فلسطين في العصور الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٧ .

4 — R. W. Southern, Western Views of Islam in the Middle ages, Cambridge, Mass 1962, pp. 2 ff.

حضارات لم تكن في يوم ما منافسة لهم ماديا وروحيا فقط بل أرقى منهم درجات عديدة • وهذا ما أكد عليه المؤرخ بارتولد حين قال :

« نجد ان اوروبا الغربية في القرون الوسطى كانت بلدا متأخرا قياسا للشرق ، مسيحيا كان أم مسلما ، تماما كتأخر الشرق اليوم بالقياس الى اوروبا الغربية •• ولكن نجد الاسس المتبعة في طرق البحث التاريخية تجد صعوبة في ازالة الخرافة التي تعتبر اوروبا ، في كل العصور ، تحتل تلك الاهمية العالمية سياسيا وحضاريا كالتي تتمتع بها الآن[٥] •

لقد تصور هؤلاء الكتاب والمؤرخون ان الغرب الذي استطاع أن يحصل على « الامتيازات » من الدولة العثمانية ، وحصلت دوله على حقوق لحماية الاقليات المختلفة في تلك الدولة ، كان بمقدوره أن يحصل على امتيازات وحقوق حماية من الدولة العربية الاسلامية في العصور الوسطى •

وهناك عقبة أخرى وهي « النظرة المسبقة » تلك النظرة التي نظر بها المجتمع الاوروبي الغربي الى المجتمع العربي الاسلامي • فلقد كانت الصورة التي يحملها الاوروبيون عن العرب وعقيدتهم الاسلاميه صورة مشوهة لا تمت الى الحقيقة بصلة ولم تتعدل هذه الصورة وتتعرض لمحاولات للتقويم واعادة التقويم الا في القرن الثالث عشر الميلادي[٦] ، حين ازداد اتصال الاوربيين بالشرق بطرق شتى ، سلمية وحربية وتعرفوا على حضارته ونظمه حيث بدأ الطلبة يستمعون الى مناقشات أساتذتهم للعلوم التي نقلوها عن العرب وخاصة في الفلسفة والطبيعيات ، وبدأوا يستعملون الارقام العربية في حسابهم علانية بعد أن كانت ممنوعة ، وتدارسوا بوصلة العرب « وظهر لهم انها ليست من عمل الشيطان ، ولا تستخدم في تضايل البشر !! » كما كان يدعي رجال الكنيسة[٧] •

---

٥ ـ راجع مقدمة الناشر الروسي الاستاذ خاليدوف .

6 — Southern, op. cit., pp. 34 ff.

٧ ـ هارولد لامب ، شعلة الاسلام ، بغداد ، ص ٦١٧ فما بعد .

لقد كان ارنست رينان[٨] من المؤرخين الغربيين الرواد الذي تعرض بصورة جدية وعلمية للعلاقات بين الشرق العربي والغرب الاوروبي في العصور الوسطى، الا أن مؤرخي عصره لم يتمثلوا به • حتى جاءت الفترة بعد الحربين العالميتين فشهدت جهودا محمودة لاظهار التأثير العربي على الغرب، فكان ما كتبه مرنيريه وتيري[٩] شاهدا على ذلك • ثم تعاقبت البحوث والمقالات التي تعالج العلاقات السياسية والحضارية والحربية في فترات مختلفة[١٠] •

لقد كان قيام الدولة العربية الاسلامية يمثل مشكلة سياسية وحضارية عنيدة للغرب ، وكان على الغرب أن يجابهها عسكريا وعقائديا من جهة ، وان يتعامل معها من جهة أخرى تجاريا وحضاريا • وفي الوقت الذي كان لدى الغرب الكثير لمجابهة اليهود والرد عليهم ، لم يكن لديه أي تراث فكري يعينه على مجابهة الاسلام كقوة سياسية وفكرية[١١] • لقد كانت دولة العرب المسلمين دولة منتصرة قوية فاتحة ، لم تقاوم الهجمات البيزنطية فحسب بل ردت عليها بهجمات موفقة وصلت بها الى ضواحي القسطنطينية • كما أن العرب المسلمين هاجموا آراء الكنيسة حول طبيعة المسيح وعبادة الصور المقدسة • وكان الفكر والثقافة الاسلاميان أرفع درجات عديدة من المستوى الاوروبي • وليس هذا فحسب ، بل أن المجتمع الاوروبي كان مجتمعا زراعيا اقطاعيا كنسيا ، بينما كان المجتمع العربي الاسلامي مجتمعا تجاريا بالدرجة الاولى يمتاز بمدنه الكبرى • ولم يكن في الاسلام ذلك النظام الكنسي بأديرته ورهبانه الذين يحتلون مكانا رئيسا في البنية الاجتماعية • وبكلمة مختصرة ، فان الفارق كان كبيرا لانه فارق

---

8 — E. Renan, Averroes et l'averroisme, 1852.

9 — U. Monneret de Villard, lo studio dell Islam in Europa nell XII e nel
G. Thery, Tolede, Grande Ville de la Renainssance. 1944.

10 — N. Daniel. Islam and the West: The making of an Image 1952.

١١ — عن علاقات الدولة العربية الدولية من الناحية القانونية • راجع :
M. Khadduri, War and Peace in the Law of Islam, Baltimore, 1955.

بين مجتمع متأخر بطيء ومجتمع ناضج متطور • على ان هذا الفارق لم يحل دون الاتصال والاحتكاك اللذين اتخذا أشكالا ومجالات مختلفة سنقتصر على ذكر مجالين اثنين منها هما : المجال العسكري ، والمجال الدبلوماسي ــ السياسي في عهد الرشيد :

العلاقات الحربية في عهد الرشيد :

لقد كان « الروم » أو البيزنطيون العدو الذي استطاعت الدولة العربية الاسلامية ازاحته من الشام ومصر ، وتعقبته الى الاناضول برا وبحرا في أصياف وأشتية سنوية مستمرة •

والمعلوم ان الحجاز والشام ارتبطتا بروابط جغرافية وبشرية وتجارية قبل الاسلام ، ولذلك فقد كان اتجاه العرب المسلمين بعد تأسيس دولتهم في الحجاز الى تحرير الشام من سيطرة البيزنطيين ، ونجحوا في ذلك سنة ٦٣٨ م، حيث زار الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس التي اشترط سكانها أن يسلموا مفاتيحها للخليفة بالذات[١٢] • ويشير المؤرخ ثيوفانيس الى أن رجال الكنيسة لم يكونوا مرتاحين لتغير السلطة السياسية من بيزنطية الى عربية[١٣] • كما ان السلطة البيزنطية لم تكن لتستكين لهذا الانحدار الذي سلبها اقليما من أغنى أقاليمها ، ولذلك استمرت المعارك دون أن تؤثر في تغيير الوضع السياسي •

لقد حلت الدولة الاسلامية محل الساسانيين في الحرب الطويلة الامد بين الشرق والغرب • وأصبحت الدولة البيزنطية « دار الحرب » بالنسبة للمسلمين المجاهدين • ولكن جبال الاناضول الوعرة ووديانها العميقة وقفت حجر عثرة في سبيل تقدم الجيوش العربية الاسلامية ، على أن الحرب استمرت سجالا بين

١٢ــ فيليب حتي ، تاريخ سوريا ، بيروت ١٩٥٩ ، جـ٢ ص ١٥ •

١٣ــ Ibid

الطرفين تشتد مرة وتخف أخرى في صدر الاسلام والدولة الاموية[١٣] • وقد حوصرت القسطنطينية أثناء ذلك ثلاث مرات (٦٦٨ـــ٦٧٠) و (٦٧٤ ــ ٦٨٠) و (٧١٥ ــ ٧١٧ م)[١٤] •

منعت الاضطرابات الداخلية في أوائل العصر العباسي الخلفاء العباسيين من « الجهاد » ضد الروم ، ولكن الدولة حاولت جاهدة أن تبقي روح الجهاد ومظاهره مستمرة ، وذلك لسببين :

الاول ــ ان الجهاد من واجب الخليفة الدينية الرئيسة ، حيث كان عليه أن يعمل لنشر الاسلام في أقاليم جديدة من (دار الكفر) وتوسيع (دار الاسلام) •

الثاني ــ لقد استعملت بلاد الروم ملجأ لاعداء الدولة والمتمردين عليها •

أشرنا سابقا الى أن أهم ما يميز الحرب الاسلامية ــ البيزنطية في العصر العباسي هو اقتصارها على اشتباكات فصلية تتخللها هجمات تتفاوت في العمق داخل حدود الدولة المعادية • ولعل هذا الاختلاف في المجهود الحربي تجاه البيزنطيين يعود الى أن وجهة الدولة العباسية وجهة شرقية لا غربية ، رغم ان سياسة الاتجاه نحو الاقاليم الشرقية والاهتمام بها كانت سياسة أموية بدأها هشام بن عبدالملك ، ولم تكن بدعة عباسية جديدة • ومهما يكن من أمر فقد اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بمنطقة الحدود مع البيزنطيين ، وكان جل عمله دفاعيا لا هجوميا ، فقد أعاد تحصين المنطقة التي دمرها قسطنطين الخامس وبنى بها حصونا جديدة • وتعطينا مصادرنا التاريخية معلومات جيدة عن الجهود التي بذلها المنصور وعن الامكانات البشرية والمالية التي أنفقها من أجل أن يضع أساسا جديدا لاقليم الثغور • واستعمل المنصور وسائل اغراء كثيرة لحث الجند والناس على العمل في الثغور ، منها : زيادة العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير اضافية

١٤ــ فتحي عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية، القاهرة جـ١ ص ٢٨٥ فمابعد.

وتخصيص معونة قدرها ١٠٠ دينار لكل واحد منهم وبناء بيوت خاصة لاقامتهم مع عوائلهم .

واذا كان عهد المنصور مرحلة استكمال الدفاع والتحصينات ، فان عهد ابنه المهدي شهد تصاعد العمليات الحربية ، فقد استتم (المهدي) ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها ، ثم أخذ زمام المبادرة في عدة حملات هجومية كان أهمها حملة ٧٧٩م و ٧٨٢م . وكان الانتصار الذي تحقق سنة ٧٨٢م كبيرا ، حيث حاصر الامير هارون بن المهدي القسطنطينية بعد أن قاد جيشه عبر الاناضول ، وحصل على جزية كبيرة ، وعاد الى بغداد حيث استقبل بمظاهر العظمة والتهليل ومنحه أبوه لقب « الرشيد » . الا ان هذه الحملة كانت آخر حملة وصلت الى أسوار القسطنطينية التي ظلت لقرون عديدة في مأمن من هجوم اسلامي جديد .

وقد عني الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ـ٨٠٨م) عناية كبيرة بتنظيم منطقة الحدود بينه وبين البيزنطيين . فقد عزل الثغور عن الجزيرة وقنسرين وجعلها منطقة واحدة سماها « العواصم »[١٥] . وقد نظمت الدولة خطين للدفاع على الحدود البيزنطية . الاول هو «الثغور» والى جنوبها الخط الثاني «العواصم» التي سميت بهذا الاسم لان المسلمين يعتصمون بها من الثغور فتعصمهم .

وكانت منطقة الثغور التي اهتم بها الرشيد تنقسم الى ثلاث مناطق[١٦] :

المنطقة الشرقية : وتشمل حصون قاليقلا وكمخ وقلودية .

المنطقة الوسطى : وتشمل حصون الحدث وزبطرة وملطية .

---

15 — E. I. (2), Harun al-Rashid by F. Omar.

16 — Le Strange ,Palastine under the Moslems, p. TP.

١٦ـ محمد عبدالهادي شعيرة ، المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية عند جبال طوروس ١٤٧ـ١٤٨ .

المنطقة الغربية : وتشمل حصون المصيصة وطرسوس وادنة •

أما الخط الفاصل بين الثغور والعواصم فقد حدده ابن الفقيه بأنه خط منبج من جهة ، الى انطاكية من جهة أخرى ، فما كان الى شمال الخط فهو من الثغور ، وما كان الى جنوب الخط فهو من العواصم ، ويمر هذا الخط بحصون الجومة وقورس وتيزين ، وكان مركز العواصم منبج •

وزاد الرشيد في تحصين الجبهة ببناء حصون جديدة وترميم الحصون القديمة ، فقد بنى كفربيا بجوار المصيصة ، وعمر طرسوس وشحنها بأكثر من ٦٠٠٠ مقاتل ، وبنى وحصن عين زربي وشحنها بالرجال ، كما زاد في بناء الهارونية ، وأعاد بناء حصن الكنيسة السوداء ، وعمر مدينة الحدث ، وبنى حصن زبطرة[١٧] •

واهتم الرشيد بارسال الحملات كل سنة للجهاد ضد البيزنطيين، وكان يقود الحملات بنفسه كما في سنة ١٧٠هـ/ وسنة ١٨١هـ/٧٩٧م ، أو يرسل قادة من البيت العباسي لقيادة الحملات • وليدلل على أهمية هذه الحملات ، ولاظهار سطوة الدولة العباسية عين الرشيد سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م ابنه القاسم بولاية العهد بعد أخويه الامين والمأمون وسماه المؤتمن ، وولاه الجزيرة والثغور والعواصم، وأشخصه الى منبج فأنزله اياها • ولعل أهم حملة قادها الرشيد بنفسه كانت سنة ٨٠٤م حين نقض نقفور امبراطور الروم الصلح مع العباسيين ، وكتب الى الرشيد :

« من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب••
أما بعد ، فان الملكة التي كانت قبلي (يقصد ايريني)
أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق • فحملت
اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها اليها ، لكن

١٧ـ فتحي عثمان ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٥٨ـ١٦٣ •

ذاك ضعف النساء وحمقهن • فاذا قرأت كتـــابي فأردد
ما حصل قبلك من أموالها • وافتد نفسك بمـــا يقع به
المصادرة لك والا فالسيف بيننا وبينك » •

ولما قرأ الرشيد الكتاب استنفره الغضب ، وكتب على ظهر الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ••• من هارون أمـــير
المؤمنين الى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن
الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه »[١٨] •

ولم يكن نقفور مهيأ للقتال لنشوب ثورة مفاجئة داخلية،فهاجم الرشيد هرقلة ، ثم تقدمت جيوشه حتى وصلت أبواب انقرة فاتحـــة أمامها حصون الصفصاف ودبسه • فعرض الامبراطور دفع الجزية ووافق الرشيد على ذلك • ولكن البيزنطيين عادوا فأغاروا على عين زربة والكنيسة السوداء سنة ٨٠٦م، فجابهم الرشيد واستولى على عدد من القلاع المهمة مثل هرقلة وطوانة شمالي لؤلؤة ، ورضخ نقفور لطلب الرشيد بأن يدفع ٣٠٠ ألف دينار ويعمـــر بعض القلاع التي هدمت • واتخذ الرشـــيد قلنسوة مكتوب عليها « غاز حاج » وتعتبر هذه الحملة أقصى ما وصلت اليه الجيوش العباسيةفي ارض الروم[١٩]• على ان كل هذه المعارك لم تكن تســـتهدف توسيع رقعة الدولة الاسلامية أو اقامة ادارة دائمة في الاناضول ، بل سرعان ما كان الجيش العباســـي يعود الى قواعده في مناطق الثغور والعواصم •

وفي مجال النشاط الحربي البحري فان التاريخ يسجل للعباسيين وخاصة الرشيد عنايتهم بتحصين الموانىء الشامية ، الا انهم نظروا اليها كقواعد دفاعية

١٨ــ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠ ص ٩٤ فما بعد .
١٩ــ يقول ابن الداية في كتابه (المكافأة) : ان تقفور اعلن الاحتفال والسرور حين سمع بنبأ وفاة الرشيد ، ص ٨٠ ــ انظر كذلك :
B. Lewis, An Arabic account ......, p. 383

لا هجومية ، وكحدود دولتهم ينبغي حمايتها والدفـاع عنها[٢٠] • كما اهتم الرشيد باعادة مصانع بناء السفن في بلاد الشام ومصر •

العلاقات الدبلوماسية في عهد الرشيد :

لم تكن العلاقات بين الشرق والغرب مقصورة على الحرب ، بل شـملت صلات ودية مع الامبراطوريتين البيزنطية والفرنجة (الكارلونجية) •

لقد كانت تتخلل الحروب بين المسلمين والبيزنطيين فترات سلمية يتبادل فيها الطرفان الاسرى والوفود • كمـا سـاعد امبراطور الروم (البيزنطيين) الامويين في عملية اعادة بناء بعض المساجد في الحجاز والشام • وكانت التجارة نشطة بين الدولتين برا وبحرا[٢١] • كما استقبل المنصور سفيرا بيزنطيا بعـد انتقاله الى بغداد عاصمة العباسيين الجديدة ، الذي أشار على الخليفة، كماتقول الرواية ، بألا يبني السوق داخل سـور المدينـة حفظا للامن من الشغب والتجسس[٢٢] •

واذا كانت رواياتنا عن العلاقات الاسلامية ــ البيزنطية الحربية واضحة وصريحة ، لانها في الغالب تتصل بالجهاد ، فان الطابع الاسطوري الغامض يغلب على الروايات القليلة الغامضـة المتعلقة بالعلاقات الاسـلامية ــ الفرنجيـة (الكارولنجية) تلك العلاقات التي تلتزم المصادر العربية حولها جانب الصمت، ولا تذكرها الا ثلاثة مصادر لاتينية ، هي : (الاخبار الملكية الفرنكية)و(سيرة

٢٠ــ البيهقي ، المحاسن ، جـ٢ ص ٦٢٢ فما بعد •

٢١ــ هاملتون كب ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، الفصل الثالث ، ص ٦١ فما بعد •

٢٢ــ المصدر السابق •

الامبراطور) شارل الكبير (شارلمان) لاينهــارد ، وما كتبه الراهب سنــت كول[٢٣] •

ان العلاقات الاسلامية ــ الفرنجيــة (الكارونجية) هي في الواقع ذات طبيعة معقدة • وسيجد القارىء ان المؤرخين اختلفوا ليس فقط حول طبيعةهذه العلاقات وأهدافها بل على حقيقــة وقوعها • تشير بعض الروايات اللاتينيــة المضطربة الى أن شارلمان امبراطور الامبراطورية الكارولنجيــة بدأ بخطب ود الخليفة هارون الرشيد ، فأرسل له وفدا رسميا سنة ٧٩٧م ، ثم أرسل رسولا الى بطريق القدس سنة ٧٩٩م ، وقد رد الرشيد بارسال وفد سنة ٨٠١م، وأعقبه شارلمان بارسال وفد ثان سنة ٨٠٢م ، فرد عليه الرشيد بوفد سنة ٨٠٧م •

كانت الوفود تحمل الهدايا المختلفة الى كل من العــاهلين • كما أرســل شارلمان هبات الى الاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين ، مما دعا بطريق القدس الى ارسال وفد سنة ٨٠٠م يحمل مفاتيح كنيسة القيامة ومدينة القدس ورايتها الى شارلمان • وقد حمل بعض الباحثين الاوربيين هذه الروايات المفعمة بالخيال والغامضة في مصادرها الاصيلة أكثر مما يجب ، فأبتدعوا اســطورة تاريخيــة جديدة فحواها ان شارلمان أصبح حاميا للاراضي المقدسة في فلسطين وأميرا على القدس ، بموافقة الخليفة ، مقابل أن يحاول شارلمان الاســتيلاء على الاندلس باسم العباسيين ، ويقف ضد البيزنطيين ، ليحول دون تهديدهم البري والبحري للدولة العباسية •

٢٣ــ مجيد خدوري ، الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشــارلمان ، بغداد ١٩٣٨ ص ٤ •

24 — Conte de Rian, Inventaire Critique des lettres relatives an Premier Croisade, Paris, 1880.

لقد كان دي ريان[٢٤] أول من أيد هذه الفرضية بدراسة مسهبة مبنيةعلى المصادر اللاتينية ، ولكن المؤرخ الروسي الشهير بارتولد[٢٥] عارضها بمقالةسنة ١٩١٢ ، وقد أنكر بارتولد أن يكون شارلمان قد فاوض الرشيد ، وان هــذا الاخير لم يعطه حق حماية فلسطين ، واستند بارتولد في رأيه هذا الى سكوت المصادر العربية والمسيحية الاخرى ، عدا المصادر الثلاثة اللاتينيــة • ويرى بارتولد ان ما يسمى «بالوفود» لم يكن أكثر من تجار يهود لا سفراء رسميين• وقد رد فاسيلييف[٢٦] على مقالة بارتولد بمقالة سنة ١٩١٤ أكد فيها ان شارلمان أصبح حاميا لمسيحيي فلسطين ، وصار له حق انشاء كنائس وخانات للحجــاج الاوربيين على طول الطريق الى الاراضي المقدسة • وأيده بربيه[٢٧] مشيرا الى ان ارسال مفاتيح الكنيسة المقدسة (القيامة) والراية ، معناه اعطاء شارلمان حق الحماية باذن الرشيد •

وقد تصــدى كلينكلوز[٢٨] ســنة ١٩٢٩ وجورانسون[٢٩] سنة ١٩٢٦ لفرضيات بربيه ، ورد هذا الاخير على أقوال ناقديه سنة ١٩٢٨[٣٠] •

٢٥ــ بارتولد ، هارون الرشيد وشارلمان (بالروسية) في

I. Khristainsky Vostok

سنت بطرسبرغ ١٩١٢ •

٢٦ــ فازيليف ، هارون الرشيد ، وشارلمان (بالروسية)

XX, Vizantinsky Vremiennik

سنت بطرسبرغ ١٩١٤ •

27 — Brehier: Les Origines des Rapports entre Idem, La Situation des chrctiens de Palestine..., in Paris, 1919.
Idem, La situation des chretiens de Palestine ......, in Croisades, Paris; 1919; 1928.

28 — Kleinclaucz, La Legendc de la Protectorate de charlemagne......Paris, 1926.

29 — Jonason, The Alleged Frankish Protectorate in Palestine, A Historical Rev., XXXI, 1926-27.

30 — Brehier, Charlemagne and la Palestine R. H., Paris 1928 pp. 277-19.

ثم جاء بكلر فكتب مقالة سنة ١٩٣١ حول الموضوع ، فأضاف عنصرا خياليا تصوريا[٣١] للمناقشة الحادة ، مدعيا ان الدبلوماسية العباسية هدفت من وراء اعطاء شارلمان امتيازات سياسية في فلسطين وتعيينه أميرا عليها ، أن تستخدمه مقابل ذلك في الهجوم على الاندلس واعادتها الى حظيرة الدولة العربية الاسلامية !! • ولا شك ان هذه الافتراضات لا تقف أمام النقد الموضوعي ولا تنسجم مع سياسة هارون الرشيد وروح العصر الذي عاش فيه •

وأخيرا اشترك المؤرخ رنسيمان[٣٢] في المشادة ، فدحض « اسطورة الحماية » مؤكدا انها من اختراعات الراهب سنت كول المستندة الى روايات اينهارد الغامضة •

أما المؤرخون العرب فقد أيد بعضهم فرضية الحماية ، حيث ناقشها جميل نخله المدور ، الا ان كتابه مفعم بالخيال ، وهو أقرب الى الرواية القصصية منها الى التاريخ المحقق فهو لا يذكر مصادره أو يحمل نصوصه أكثر من طاقتها، كما ناقشها الاستاذ محمد عبدالله عنان ولم يخرج منها بنتيجة محققة ، بل انه خلط بين الوفود الرسمية ووفود بطريق القدس[٣٣] • أما الدكتور مجيد خدوري فقد ناقشها مناقشة موضوعية مسهبة معتمدة على المصادر ، فكانت دراسته أحسن دراسة علمية حديثة للموضوع وهو يرى :

---

31 — Buckler, Charles the Great and Harun al-Rashid Cambridge, Mass.. 1931.

32 — S. Runciman, Charlemagne and Pa'estine in EHR. 1935.

٣٣ـ المدور . حضارة الاسلام في دار السلام ، القاهرة ١٩٣٣ . ص ٢٦٦ فمابعد . ـ عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام . القاهرة سنة ١٩٢٩ ، ص ٣٢ فما بعد . انظر كذلك الدوري ، العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ . ص ١٤٩ـ١٥٦ . ـ زهدي الداية ، هارون الرشيد وشارلمان مجلة الهلال سنة ١٩٣٢ ص ٩٦٨ فما بعد . ـ فاروق عمر ، هارون الرشيد في (دائرة المعارف الاسلامية) الطبعة الجديدة . ـ عبدالمنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٢ـ٧٨ .

« بأن المصادر اللاتينية المعاصرة بالغت كثيرا في خطورة هذه الصلات وفي شأنها السياسي،فنسجت حول البعثات الدبلوماطيقية ما شاءت لها مخيلات مؤلفيها أن ينسجه من الآراء تعظيما لمركز الامبراطور شارلمان في الغرب »[٣٤] .

صحيح ان المصلحة السياسية كانت تدعو الدولتين العباسية والكارلونجية (الفرنجية) الى التقارب لان عدوهما المشترك كان واحدا، ألا وهو البيزنطيون والامويون في الاندلس . فكانت الدولة العباسية في نزاع حربي مستمر مع البيزنطيين ، بينما كانت الدولة الكارلونجية في حروب مستمرة مع العرب الامويين في الاندلس[٣٥] من جهة ، ومن جهة أخرى كان العباسيون يعتبرون الامويين متمردين ، وقاموا بعدة محاولات لاستعادة الاندلس . وكان النزاع على أشده بين البيزنطيين والكارولنجيين حيث كادكل منهما يعتبر نفسه الوريث للمجد السياسي للامبراطورية الرومانية القديمة . وزادت البابوية في توتر الصلات بين الطرفين ، فقد ناصر البابا الكارولنجيين وعارض بشدة سياسة البيزنطيين الدينية (الايقونية) وهي عبادة الصور المقدسة للمسيح والعذراء والقديسين،وقدم الدعم المعنوي للاباطرة الفرنج الكارولنجيين،وساند طموحهم السياسي للسيادة على اوروبا .

ويبدو ان هناك سفارات متبادلة بين البيزنطيين والامويين في الاندلس ، بسبب عداء الدولتين للفرنك والعباسيين ، الا ان هذه العلاقات الدبلوماسية

٣٤- مجيد خدوري ، الصلات الدبلوماطيقية بين الرشيدوشارلمان بغداد١٩٣٩، ص ٦١ .

٣٥- راجع : عبدالمنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٥-٧٢ .

جاءت متأخرة قليلا عن الفترة موضوعه البحث في هذا الكتاب ، حيث وقعت في بداية القرن التاسع الميلادي[٣٦] .

ان كل هذه المصالح المشتركة بين الاطراف المعنية كان من الممكن أن تؤدي الى صلات سياسية وعسكرية قوية ، الا أن مصادرنا لا تذكر عنها الا القليل الغامض . ورغم ان الدولة العباسية تركت السياسة الهجومية الا انها كانت تمثل الجانب الاقوى في النزاع مع البيزنطيين طوال العصر العباسي الاول . ثم ان الرشيد عرف بسياسته الدينية المتشددة ، تلك السياسة التي لا تسمح له بأن يعطي شارلمان حقا أو امتيازا في الاراضي المقدسة بفلسطين ، أو يسمح لبطارقة الكنيسة بالاتصال بعاهل أجنبي . وكانت الدولة العباسية في عهد الرشيد تمر بمرحلة التفكك الاداري وانفصال الولايات وقد حاول الرشيد كاجراء اصلاحي أن يقسم الدولة بين أبنائه الثلاثة.فقد انفصلت المغرب وتونس عن جسم الدولة رغم اعترافها بسلطة الخليفة . فكيف يفكر الرشيد باستعادة الاندلس وقد فقد شمالي أفريقيا ؟.

وأخيرا وليس آخرا ، فقد كانت الاراضي المقدسة في فلسطين وخاصة مدينة القدس ذات أهمية دينية وسياسية في وقت واحد ، حتى أن بعض الخلفاء الامويين كانوا يختارون اعلان بيعتهم فيها . كما بنى عبدالملك بن مروان فيها قبة الصخرة والمسجد الاقصى . واهتم بها الخلفاء العباسيون الاوائل حيث زاروها وأصلحوا مساجدها . فكيف يحق للرشيد بعد ذلك أن يعطي امبراطور الفرنج امتيازات مهمة في فلسطين ؟ .

وبسبب سكوت مصادرنا العربية عن ذكر أية علاقة سياسية ـ عسكرية بين العباسيين والفرنج ، فلا يسعنا الا القول بأنه اذا كانت هناك علاقات بين الطرفين ، فلابد أن تكون ودية ، لعب فيها التجار ـ وبعضهم من اليهود ـ دورا

٣٦ـ المصدر السابق ، ص ٧٨ـ٨٢ .

رئيسا بنقل الهدايا والرسائل[٣٧] • وحتى يتم اكتشاف مصادر جديدة موثوق بها تاريخيا تحتوي على معلومات جديدة عن ماهية تلك الصلات الدبلوماسية ، فاننا نؤيد وجهة نظر بارتولد وتقول بأن ما ذكر عن هـذه الصلات هو محض خيال[٣٨] •

أما الرشيد فقد فكر بأن يجعل من أمارة الاغالبة دويلة حاجزة بينه وبين الامويين في الاندلس ولكن الرشيد في سياسته هـذه عالج الانفصال بخلق انفصال جديد عن جسم الخلافة فزاد من عوامل التفكك ، وكان المفروض أن ينهج سياسة تزيد من قوة عوامل التماسك[٣٩] •

الرشيد والشرق الاقصى :

تشير رواية تاريخية[٤٠] الى زيارة وفد أرسله ملك من ملوك الهنـد الى بلاط الرشيد وقدم للخليفة هدايا تتضمن السيوف والثياب والكلاب ، وقـد أعجب الرشيد بالكلاب السيورية ، وقدم للوفد هدايا وجوائز سنية• والظاهر ان الرشيد استقبلهم استقبالا رسميا لانه « أمر الاتراك فصفوا صفين ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم الا الحدق»• ولعل في هذه الرواية دليلا جديدا يشير

٣٧- من الهدايا المتبادلة : فيلا وساعة مائية واواني نحاسية نفيسـة وصيوان ملون وعطور واقمشة حريرية ومفتاح القدس ورايتها. كما ارسل شارلمان هبات ومبرات الكنيسة - القدس .
انظر :
H. R. Bitterman, Harun ar-Rashid gift of an organ to charlemagne. pp. 215-217.

٣٨- ان L. Palpnem نفسه محقق كتاب اينهارد يشكك في بعض رواياته وتحيزه الى شارلمان ، انظر :
Etudes Critigues sur l'Histoire de Charlemage, Paris (Felx Aclan) 1921. p. 81.
كما وان بارتولد يقول بأن هذا الكتاب منسوب لاينهارد .

٣٩- فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ص ٣٣٧ .

٤٠- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١٠، ص ٢٦١ .

الى أن اصطناع الترك لم يبدأ منذ عهد المعتصم ، بل كان قبل المعتصم ومنذ عهد المنصور ، ولكن نسبتهم كانت قليلة ، وغير ذات بال . كما تبادلت الخلافة في عصر الرشيد الذي تميز بزيادة الارتباطات التجارية بالشرق والغرب، وفودا مع الصين ، حيث أرسل الرشيد ثلاثة وفود الى الصين[٤١] .

ولكن الصفة الغالبة على هذه الوفود والزيارات انها وفود تجارية ، ولم تكن لها صبغة سياسية ، ولعل العباسيين كانوا يحاولون معرفة أحوال تلك البلاد النائية والتعرف على ما فيها من بضائع وتحف ، وكذلك التعرف على أحوال الجاليات التجارية العربية والاسلامية هناك .

الرشيد والامويون في الاندلس :

لم تستطع الخلافة العباسية على عهد الرشيد مواصلة جهود المنصور والمهدي في محاولة استرجاع الاندلس من ايدي الامويين وضمها الى حظيرة الخلافة . والواقع ان أكبر جهد في هذا الاتجاه حصل على عهد المهدي العباسي حين اعتمد على عدة شخصيات سياسية للقضاء على انفصال الاندلس ، وهي : عبدالرحمن بن حبيب الفهري الصقلبي الذي تحرك في (تدمير) سنة ١٦٢هـ ثم سليمان بن يقظان الاعرابي وأخيرا الرماحس بن عبدالعزيز الكناني اميرالجزيرة الخضراء الذي ثار سنة ١٦٤ هـ ثم فشلت حركته وهرب الى العباسيين[٤٢] .

العباسيون وجزر البحر المتوسط :

رغم اهمال العباسيين للنشاط الحربي البحري في البحر المتوسط فان الاسطول البحري على عهد الرشيد كان فعالا نسبيا ، فقد أغار الاسطول على

---

41 — Bertschnieder, Medival Researches ... 1937.

42 — Moscati, Studi..., Orientalia, 1945, 1946.

قبرص واشتبك في معركة مع الاسطول البيزنطي الذي انهزم وأسر قائده فأمر الرشيد بقتله .

وفي سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م غزا حميد بن معيوف قبرص « فهدم وأحرق وسبى .. » ومع ذلك لم يستقر الحكم العباسي في قبرص لكثرة ما نقض أهلها من العهود ، ويبدو ان نقاشا طويلا وقع بين الفقهاء حول الكيفية التي يعامل بها المسلمون سكان قبرص واشترك في النقاش مالك بن أنس وسفيان بن عينية والليث بن سعد والاوزاعي واسماعيل بن عياش وغيرهم .

وفي سنة ١٩١هـ/٨٠٧م ارسل الرشيد حملة الى (رودس) عادت بالكثير من الغنائم ، ثم انشغل العباسيون بالحرب الاهلية والفتن الداخلية . وانتقلت مسؤولية الدفاع عن النفوذ الاسلامي في البحر المتوسط الى امراء المغرب والاندلس .

أما كريت فقد غزاها حميد بن معيوف في عهد الرشيد وتمكن من السيطرة على جزء ساحلي منها ، واستطاع عمر بن عيسى الاندلسي أن يفتتح حصنا فيها في عهد المأمون ، ثم توسع نفوذه تدريجيا وطرد الروم منها . ونزلها الثوار الربضيون سنة ٢١١هـ بعد أن اتفقوا مع عبدالله بن طاهر بالهجرة من الاسكندرية فأعطاهم الامان ونزلوا كريت .

وقد ارتبط منذ بداية القرن الثالث الهجري مصير الجزر في البحر المتوسط بقوة العرب في الاندلس وقوة الاغالبة في المغرب ، وقد استطاع الاغالبة أن يفتحوا (صقلية) ويثبتوا نفوذهم فيها ، أما كريت فقد ارتبطت بدولة الامويين في الاندلس . أما الدولة العباسية فقد انشغلت بالقلاقل في عصر فوضى الاتراك ، ومع ذلك ، فقد حاول المعتصم ، بعد انتصاره في عمورية « المسير الى القسطنطينية .. فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه » .

العلاقات مع التركستان :

كان على العباسيين أن يحافظوا على حدودهم الشرقية في بلاد ما وراء النهر تجاه الهجمات التي يقوم بها الاتراك الشرقيون وكذلك الصينيون •وقد استطاع العباسيون سنة ٧٥١م أن يهزموا جيشا صينيا يقوده كاوهين شيه • وتفرغ العباسيون للسيطرة على تحركات الترك الذين انقسموا فيما بينهم الى امارات صغيرة ، أهمها امارة القرلوق وامارة الاغوز • ان انقسام الاتراك دون شك أثر في قوتهم ، وخفف من وطأتهم على الحدود الاسلامية[٤٣]•

وفي خلافة الرشيد استطاع الغطريف بن عطاء بسط سيطرته على (امارة القرلوق) مرة أخرى ، كما استطاع الفضل البرمكي أن يكسب ملك اشروسنة •• ولعل من نتائج بسط السيطرة العباسية على أقاليم الصغد وفرغانه واشروسنة ان كثر تدفق الترك على الدولة والمجتمع العباسي حتى تزايد عددهم في عهد المعتصم •

ولعل نظرة الى تركيب الجيش العباسي الذي سار من خراسان الى بغداد أثناء النزاع بين الامين والمأمون تعطينا فكرة عن كثرة نسبة الترك في هذا الجيش • كما ان البلاذري[٤٤] يقول عن المعتصم ان :

« جل شهود عسكره من جند أهل ما وراء النهر من الصغد والفراغنة والاشروسنة وأهل الشاش وغيرهم وحضر ملوكهم بابه ، وغلب الاسلام على ما هنالك ، وصار أهل تلك البلاد يغزون ما وراءهم من الترك ، ففتح مواضع لم يصل اليها أحد قبله » ويبدو لنا ان هارون الرشيد هو الذي بدأ جديا بالاهتمام بالترك وسكان المشرق كعناصر جديدة في تركيبة الجيش العباسي ، رغم تواجدهم بأعداد قليلة قبله •

٤٣ــ حسن احمد محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ١٦٩ •

٤٤ــ البلاذري ، فتوح .. ص ٤٢٠ •

الفصل الخامس

مشكلة ولاية العهد في عهد الرشيد

ان الظروف الصعبة التي مر بها الامير هارون الرشيد حين كان ولياً للعهد في خلافة أخيه موسى الهادي حيث تعرض الى مختلف الضغوط وأنواع الاساليب للتنازل عن حقه الشرعي بولاية العهد لابن الهادي ، ان هذه‌الظروف التي جعلته في فترة من الفترات يكاد يقبل بالتنازل لجعفر بن الهادي لولا الحاح الخيزران ويحيى البرمكي وتشجيعهما له بالصمود في وجه أخيه‌والحفاظ والتمسك بحقه الشرعي بالخلافة .. قد نسيها أو تناساها الرشيد ولهذا نجده يكرر الخطأ نفسه الذي وقع فيه أبوه المهدي ويعطي ولاية العهد الاولى لابنه الامين ثم يمنح ولاية العهد الثانية والثالثة لابنيه المأمون والمؤتمن .

ان سياسة هارون الرشيد وموقفه من ولاية العهد قد أثارت استغراب المؤرخين الرواد أنفسهم فيقول الطبري في رواية توضح موقف الرأي العام من ذلك : « وقال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة ». أما ابن الاثير فيستغرب من تدابير الرشيد فيما يتعلق بولاية العهد فيقول : « وهذا من العجائب »[1] .

---

١ ـ الطبري ، القسم الثالث، ص ٦٥٣ . ابن الاثير، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٧١ .

ومهما يكن من أمر فان الرشيد يعتبر أول خليفة يبايع لاولاده الثلاثة من بعده • وقد اهتم الرشيد كعادة الخلفاء من قبله بتربية أبنائه وتدريبهم على السياسة والادارة والحرب ، فاختار لهم أحسن المؤدبين والمربين والاساتذة • وقد حفظت لنا كتب التاريخ العديد من وصاياه الى المربين • كما جعل جعفر البرمكي مسؤولا عن عبدالله المأمون وجعل الفضل البرمكي مسؤولا عن محمد الامين • وكان الاصمعي والكسائي والاحمر النحوي ويحيى بن المبارك اليزيدي من جملة من درّسوا الامين والمأمون في الادب واللغة والقراءات[٢] •

لقد أدت هذه الاجراءات الى تكتلات واضحة في البلاط والادارة العباسية فكان بنو هاشم ومعهم أم الامين زبيدة مع الامين العربي الهاشمي من الابوين وكان البرامكة وآل سهل وآل طاهر مع المأمون بن مراجل الفارسية باعتبارهم أخواله • وقد استندوا في حجتهم الى اعتبار ان المأمون الابن الاكبر للرشيد ، رغم ان الفارق بين الامين والمأمون لا يزيد على عدة أشهر فقط[٣] •

فقد أعطى الرشيد ابنه محمد ولاية العهد سنة ١٧٥هـ وكان ابن عشر سنين فقط وولاه ولاية المغرب[٤] ، وبعد سبع سنوات أي في سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ولى الرشيد ابنه عبدالله ولاية العهد الثانية وأعطاه ولايات المشرق وحين حج سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م كتب عهدا احتاط فيه لاحدهما على الآخر واشترطت هذه العهود على محمد الامين الوفاء لاخيه عبدالله المأمون وارسلت نسخ منه الى العمال وأثبتت في الدواوين وعلقت على جدران الكعبة • وجاء في نصها

---

٢ ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ١٠ ص ١٨٤ . المسعودي ، مروج الذهب جـ٣ ص ٣٥١ . ـ الجهشياري ، الوزراء ص ١٩٣ .
٣ ـ راجع : الطبري ، القسم الثالث ، ص ٦٤٧ . ـ اليعقوبي ، تاريخ جـ٣ ص ١٤٠ .
٤ ـ المصدر السابق . اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٣ ص ١٤٠ .

« ان محمدا الامين اذا فعل غير ما ورد فيها فحقه يسقط في الخلافة »[٥]. وفي السنة نفسها بايع الرشيد لابنه القاسم وولاه الجزيرة والثغور والعواصم ، وجعل أمر خلعه بيد أخيه المأمون .

ولا جدال فقد كانت عهود الكعبة في صالح المأمون ولم يكن للامين سلطة على أخيه في المشرق ولم يعط الحق في عزله أو التدخل في ادارة الولايات التي تحت نفوذه . بينما أعطى للمأمون اذا أفضت الخلافة اليه الخيار في ابقاء أخيه الثالث المؤتمن أو عزله .

وفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤ م جدد الرشيد البيعة وأعطى للمأمون جميع مافي العسكر من الاموال والسلاح ووجه الخليفة هرثمة بن أعين لكي يعيد البيعة على الامين ومن بحضرته في بغداد للمأمون والمؤتمن .

ان النصوص الواردة حول هذه العهود والمواثيق تتضمن تعهدات من قبل الطرفين ولعل هذه التعهدات كانت متداخلة وتعتمد على توفر حسن النية بين الامين والمأمون وهي صفة لم تكن متوفرة بين الطرفين مما أدى الى زيادة الشكوك ولعب الرجال الذين حولهما دورا في تعميق الخلاف لمصالح شخصية وسياسية . فكان الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان الى جانب الامين أما الفضل بن سهل وطاهر بن الحسين فكانا الى جانب المأمون . ولا ننسى كذلك فان « جماعة من بني العباس قد مدوا أعناقهم الى الخلافة أي طمعوا فيها » . ويقول المسعودي حين كتب الرشيد الشرطين وعلقهما على الكعبة « استعظم الناس أمر الشرط والايمان في الكعبة »[٦] ذلك لان هذا التدبير لم يكن له سابقة من قبل .

---

٥ ـ الطبري ، جـ١٠ ص ٧٣ (الطبعة المصرية) .

٦ ـ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٣ ص ٣٦٤ طبعة القاهرة .

ولكن نص تعهد الامين يختلف في الطبري عنه في اليعقوبي في نقاط جوهرية ثلاث :

أولها تحديد المنطقة التي يحكمها المأمون من الري وهمدان حتى أقصى اقليم خراسان والثانية يذكر الطبري اسم القاسم وهو الابن الثالث للرشيد الذي عين وليا للعهد بعد المأمون وأعطى حق اعفائه من هذا المنصب للمأمون وثالثها جملة تشير الى ان كل المسلمين مسؤولون أمام الله تعالى بأن يحافظوا على ما في هذا العهد من شروط في صالح المأمون •

لقد تعددت تفاسير المؤرخين حول طبيعة هذا الصراع ودوافعه وحاول أكثرهم أن يعتبره نزاعا بين عرب وفرس أختل التوازن بينهما مرة أخرى معتمدين على أقوال الفضل بن سهل للمأمون «أنت بين اخوالك وشيعتك» والواقع ان الامين حاول أن يستفيد من أهل الشام سندا له في هذا الصراع ولكنه فشل في مسعاه وكان عليه أن يتعظ بتجربة عبدالله بن علي العباسي • واستفاد المأمون من أهل خراسان ، واعتمد اعتمادا كبيرا على الفضل بن سهل وطاهر بن الحسين وكان عليه أن يتعظ بتجربة أجداده مع أبي مسلم الخراساني والخلال والبرامكة الذين أثبتوا ان ليس لهم وفاء وذمة •

حين خرج الرشيد من بغداد لقمع حركة رافع بن الليث سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م كان يشكو من تدهور حالته الصحية ، وقد صحبه في هذه الرحلة ابنه المأمون والفضل بن سهل والفضل بن الربيع بينما بقي الامين في بغداد • وقد توفي الرشيد فعلا في هذه الرحلة في طوس تاركا وراءه مشكلة معقدة شغلته طويلا وتخبط في وضع الحلول لها ألا وهي فكرة من سيخلفه في الحكم بعد وفاته ؟

ان الحل الذي استقر عليه الرشيد كان حلا غير عملي من المحتمل أن يؤدي الى انفجار الوضع السياسي في أية لحظة ويعتمد في دقة تطبيقه كماقلنا

سابقا توفر حسن النية وقوة شخصية الطرفين الامين والمأمون بحيث تبعدهما عن تأثيرات رجال البلاط والحاشية وذوي المصالح ، ولا بد من آن نقر بعد ذلك كله ان الرشيد قد قسم الدولة فعلا الى شطرين لا يرتبط احدهما بالآخر.

في ظل هذه الظروف استلم الامين الخلافة فأمر بمنح الجند عطاءً يعادل مقدار رواتبهم لسنتين . أما المأمون فقد غاد من سمرقند الى مرو وأخذ البيعة لأخيه ثم لنفسه ومنح الجند عطاءً يعادل رواتبهم لسنة كاملة . كما أرسل هدايا عديدة لاخيه الامين بهذه المناسبة . على أن الامين أمر أن يعود الجيش الذي كان مع الرشيد الى بغداد ولكن المأمون كان بحاجة اليهم لقتال رافع بن الليث خاصة ان الرشيد نفسه أوصى بأن يبقى الجيش بعهدة المأمون . وقد نفذ الفضل بن الربيع أوامر الامين وعاد بالجيش الى بغداد . من هنا بدأت العلاقة تتوتر ذلك ان الامين كخليفة لا بد من أن يسعى الى مد سلطته على كل الاقاليم بما فيها خراسان الواقعة ضمن سلطة المأمون . ومن الطبيعي كذلك ، وكما حدث من قبل أن يحاول الخليفة الامين خلع المأمون واعلان ولاية العهد لابنه موسى . كل هذه الامور كانت تخامر ذهن الامين ومما زاد في تعنته حاشيته التي كانت تشجعه على الاسراع في خلع المأمون(٧) .

ففي سنة ١٩٣هـ عزل الامين أخاه القاسم عن الجزيرة وابقاه على قنسرين والعواصم ثم استقدمه بعد سنة الى بغداد. وفي سنة ١٩٤هـ أمر الامين بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم . وقد استوحش المأمون من ذلك فقطع البريد وأسقط اسم الخليفة من الطراز . فأرسل الامين وفدا الى خراسان يطلب من المأمون القدوم الى بغداد يعرفه فيه حاجته اليه وايثاره الاستعانة برأيه ومشورته ! فحذره الفضل بن سهل من الذهاب الى بغداد فاعتذر المأمون وارسل رسالة الى الخليفة يقول فيها :

---

٧ ـ راجع التفاصيل : صدقي حمدي ، النزاع بين الامين والمأمون ، اطروحة مايستير (لندن) .

« أما بعد فان الامام الرشيد ولاني هذه الارض على حين طلب من عدوها وهي من سندها وضعف من جنودها ومتى أخللت بها أو زلت عنها لم آمن انتقاض الامور فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره الى أمير المؤمنين حيث هو.فرأي أمير المؤمنين أنلاينتقض ما أبرمه الامام الرشيد» .

ولكن ذلك لم يمنع الامين من اعادة الكرة لتوكيد سلطته على الاقاليم التابعة لاخيه فطلب منه أن يتنازل له عن مناطق خراسان تكون تابعة للسلطة المركزية وان يقبل بتعيين صاحب البريد من قبل الامين وهذا الامر له أهميته الخاصة اذا علمنا ان مسؤولياته تتعدى البريد الى مراقبة أعمال الولاةوأحوال الرعية والكتابة حول ذلك الى الخليفة بشكل تقارير سرية مستمرة . ولكن الفضل بن سهل شجع المأمون على الرفض قائلا بأن (محمدا تجاوز الى طلب ما ليس له بحق) .

والظاهر ان المأمون قد أدرك ان هذا الرفض معناه القطيعة فسيطر على الاحوال في خراسان وشدد الحراسة والامن وخاصة على الطرق الموصلة بين العراق وخراسان . ويشير الطبري انه[9] :

« حصر أهل خراسان من ان يستمالوا برغبة أو تودع صدورهم رهبة أو ان يحملوا على سؤال خلاف أو مفارقة » .

وقد استمرت الرسائل تترى بين الاثنين الامينيريد تأكيد سلطتهوالثاني يتشبث بالعهود والمواثيق على الابقاء على ما في يده من سلطان وفشلت كافة محاولات الخليفة في كسب وجوه أهل خراسان اليه .

---

٨ ــ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ص ٩٢ .

٩ ــ فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ص ١٩٢ .

وكان لابد للامين تجاه هذا الصدود أن يعزل المأمون من ولاية خراسان ومن ولاية العهد كذلك ولكنه وقبل أن يقدم على هذه الخطوة قرر ارسال العباس بن موسى بن عيسى اليه علّه يقنعه في تقديم موسى بن الامين على نفسه .ولكن الطلب رفض من قبل المأمون بتحريض من الفضل بن سهل ، كما ان المأمون هدد بأن أي عمل يقدم عليه الخليفة في هذا الاتجاه سيعارض بقوة السلاح . ولكن الامين أعلن سنة ١٩٥هـ/٨١٢م البيعة لابنه موسى بولاية العهد ولقبه (الناطق بالحق) . أما المأمون فكان قد اتخذ لقب (امام الهدى) دون أن يلجأ الى ادعاء الخلافة لنفسه . وقد أرسل الامين رسولا الى مكة لجلب الشروط التي كتبها الرشيد حول ولاية العهد وقد مزقها الامين وحرقها . وفي جمادى الثاني سنة ١٩٥هـ/آذار ٨١١م عهد الامين بقيادة الجيش لعلي بن عيسى بن ماهان ووعده بولاية الاقاليم الشرقية وأرسله لقتال المأمون . ولم ولم يضيع المأمون وقته بل أعلن نفسه خليفة في ١٠ شعبان ١٩٥هـ/ مايس ٨١١م وبويع من قبل أعوانه وحاشيته في خراسان .

ولم يستطع ابن ماهان أن يقابل جيش طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، فقد اندحر وقتل في المعركة وأرسل رأسه الى المأمون . وتقدم طاهر نحو العراق بسهولة حيث لم يجابه في طريقه عقبة كبيرة . فقد استطاع طاهر ابن الحسين وأحمد بن الحسين والحسن بن هرثمة من احتلال الاحواز وواسط والمدائن والكوفة والموصل والبصرة حيث اعلن اسم المأمون خليفة للمسلمين. كما أعلن أميرمكة داود بن عيسى بن موسى خلعه للامين لنكثه بعهد أخيه واحراقه الشروط المعلقة في الكعبة .

وقد حوصر الامين في بغداد وتأزمت أوضاعه ثم أسر وقتل وارسل طاهر برأسه الى المأمون مع شارات الخلافة . وقد أصبح طاهر بن الحسين مسيطرا على الموقف والزعيم الذي لا ينازعه أحد ولكن سرعان ما طغت شخصية الفضل بن سهل عليه وعلى بقية القادة أمثال هرثمة بن أعين . فقد سيطر على

الامور الادارية والعسكرية وأصبح يلقب (ذا الرئاستين) متمتعا بنفوذ لا حدود له . كما أصبح أخوه الحسن بن سهل واليا على العراق والاقاليم التابعة له . أما القادة العسكريون فقد حرموا ، عن قصد، من الامتيازات التي كانوا يستحقونها !.

واذا كان الامين قد اندحر وقتل بسبب تفكك أنصاره وقلة اخلاص القادة الذين حوله أمثال العباس بن موسى بن عيسى الذي بايع للمأمون في السر حين زار خراسان والفضل بن الربيع الذي اختفى عن الانظار في رجب ١٩٦هـ/٨١١م حين كان الامين في أشد الحاجة اليه ، وقد أثرت دعاية المأمون القوية على معنويات القادة والانصار من جماعة الامين . اذا كان ذلك كله قد حدث فانه لم يحدث بسبب القابليات الخارقة للمأمون ذلك أننا يجب أن نحذر من المبالغات والدعاية القوية التي بثها أنصار المأمون وهم الكتلة التي انتصرت في نهاية المطاف ولذلك نلاحظ الكثير من الروايات التي أوردها الكتاب والرواة كانت الى جانب المأمون وهم حين يذكرون الامين يطلقون عليه لقب (المخلوع). وليس من شك فان لكل من الاخوين نقاط قوة ونقاط ضعف. فرغم ان الامين أخطأ في تقليد امرة الجيش الى علي بن ماهان فان وصيته له تدل على بعد نظر في أمور السياسة . كما ان الامين كان لينا مع قواد جيشه مثل الحسن بن علي ابن عيسى الذي قام بحركة ضد الامين سنة ١٩٦هـ. وقبض على الخليفة وأمه وسجنهما ولكن الامين أفلت من السجن بمساعدة (الحربية) فلم يعاقب الحسين بل عفا عنه ! وكان عند الامين شهامة العربي وغيرته فقد كان بامكانه أن يستعمل ولدي المأمون وحرمه كوسيلة لجلب المأمون الى الطاعة ولكنه رفض الفكرة أصلا قائلا : « تدعوني الى قتل ولدي وسفك دماء أهل بيتي؟» لقد قتل الامين ولكن مشاكل الفتنة الداخلية ونتائج الحرب الاهلية بقيت دون حل تواجه المأمون ووزيره الفضل بن سهل[٩] . وهكذا فقد جرت تدابير الرشيد حول ولاية العهد الى عواقب وخيمة وحرب أهلية طويلة ومدمرة

ولا شك فان الرشيد لم يكن يقصد ذلك بل ربما كان هدفه الاول الحفاظ على الخلافة في أولاده بالتتابع وتجنيب البلاد القلاقل والاضطرابات ولكن ماحدث هو العكس !!

ويضع المؤرخ المسعودي مخاوف الرأي العام الاسلامي من العواقب الوخيمة في رواية على لسان زبيدة أم الامين حين تقول للرشيد:

« ما أنصفت ابنك محمدا (الامين) حيث وليته العراق وأعريته من العدد والقوادفصيرت ذلك الى عبدالله (المأمون) دونه »[١٠] .

ومعنى ذلك بكلمة أخرى ان الرشيد أعطى الخلافة للامين دون أن يعطيه الجيش والقوة للدفاع عن خلافته ، في الوقت الذي أعطى العدة والسلاح والقوة الى أخيه المأمون . فكانت النتيجة ان حدث ما حدث.

* * *

١٠ـ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٦ ص ٣١٧ .

الفصل السادس

نظم الدولة ومؤسساتها في عهد الرشيد

شهدت نظم الدولة العربية الاسلامية ومؤسساتها تطورا ملحوظا خلال العصر العباسي وكان عهد الرشيد هو رمز (العصر الذهبي) في تاريخ العباسيين وهو العصر العباسي الاول الذي يسمى بعصر القوة والازدهار •

فقد تطور نظام الخلافة بمجيء الدولة العباسية تطورا واضحا فقد استندوا على ثلاثة أسس لدعم حقهم بالخلافة وهي حق القرابة وحق الحرمة وحق القوة ولعل أوضح تعريف بهذه الاسس ماكتبه الخليفة المنصور في رسائله الى محمد النفس الزكية والتي ناقشناها تفصيلا في الجزء الاول من (كتابنا العباسيون الاوائل) • ويمكننا أن نلاحظ المميزات التالية[1] :

١ ــ لقد بنى العباسيون حقهم في الحكم على نظام الوراثة ولكنهم يختلفون فيما استندوا اليه عن نظام الوراثة الاموي ذلك لان العباسيين ادعوا بأنهم ورثوا الرسول (ص) عن طريق عمه العباس بن عبدالمطلب وهكذا ضرب العباسيون التقاليد القبلية ضربة قوية فقد قال أبو العباس الخليفة الاول في خطبته الافتتاحية في مسجد الكوفة : (وخصنا الله برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبتنا من شجرته وأنزل بذلك كتابا قال فيه « قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ») •

---

١ ــ فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، العين ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦ فما بعد .

٢ ـ كان الخليفة العباسي يرتدي البردة عند توليه الخلافة وعند حضور المظالم والصلاة باعتباره نائبا عن الرسول(ص) في حكم المسلمين •

٣ ـ تلقب الخليفة بلقب « امام » توكيدا للمعنى الديني الذي أسبغه العباسيون على خلافتهم •

٤ ـ أصبح الخليفة العباسي يحكم استنادا الى فكرة التفويض الالهي وتبين ذلك حينما خاطب المنصور العامة قائلا « انما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه » وقال المنصور في مناسبة أخرى : (السلطان حبل الله الممدود) وقد وصف العباسيون أنفسهم بأنهم « ظل الله وعروته الوثقى» وبهذا اصبح الخليفة مصدر كل سلطة ويصدر كل الاوامر الخاصة بادارة الدولة •

٥ ـ بث العباسيون بين الناس الفكرة القائلة بأن الخلافة باقية في أيديهم (أي العباسيين) حتى يوم القيامة فقال داود بن علي عم الخليفة أبي العباس مخاطبا أهل الكوفة « واعلموا ان هذا الامر فينا وليس خارجا منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم » •

٦ ـ وفي نظام ولاية العهد سار العباسيون على مبدأ تولية العهد الى أكثر من واحد ! أما دوافعهم فكانت لا تختلف عن دوافع الامويين ألا وهي حرصهم على الاحتفاظ بالسلطة السياسية في البيت العباسي • لذا عهد الخليفة أبو العباس بالخلافة لاخيه أبي جعفر المنصور ثم الى ابن عمه عيسى بن موسى ، ويقال ان أبا العباس كان قد وعد عمه عبدالله بن علي والي الشام بالخلافة •

وحين أصبح أبو جعفر المنصور خليفة خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه محمد المهدي وجعل عيسى بن موسى لولاية العهد من بعده ولكن المهدي بعد توليه الخلافة ـ خلع عيسى وولى العهد ابنيه الهادي والرشيد •

ولما ولي الهادي الخلافة عزم على خلع أخيه الرشيد وتوليـة ابنه جعفر ولكن موقف الخيزران الى جانب الرشيد وموت الهادي العاجلة حالت دون تحقيق غرضه . أما الخليفة هارون الرشيد فقدولى أبناءه الثلاثة الامين والمأمون والمؤتمن ولاية العهد وقسم الدولة بينهم وقد أدى ذلك الى الحرب الاهلية بين الامين والمأمون وكان ذلك بداية انهيار السلطة العباسية اداريا وسياسيا .

وتشير العديد من رواياتنا التاريخية الى أن الرشيد كان يتأسى بجـده المنصور الذي كان مصدر كل قوة ومنبـع كل قرار سـياسي أو اداري أو عسكري مهم . فبعـد أن تخلص الرشـيد من البرامكـة كان يتفقـد كل الامور المتعلقة بادارة الدولة دون أن يسمح لوزير أو مشير أو حاجب بتخطي صلاحياته . وبعد ان كان وزراؤه وزراء تفويض غدوا وزراء تنفيذ ليس الا فقد تقلّد وزارة الرشيد بعد البرامكة حاجبه الفضل بن الربيع الذي وُصف بالشهامة والخبرة ولكنه لم يكن ينفذ أمرا دون مشورة الخليفة وأمره .

لقد كان النظام الاداري العباسـي اسـتمرارا للادارة الأموية ولكن العباسيين بمرور الوقت وتشعب الحاجات وتبـدل الظروف طوروا الادارة ومؤسساتها استجابة لتلك الحاجات .

ولعل أول ما يلفت النظر هو استبدال الادارة اللامركزية الاموية بادارة مركزية جديدة يكون على رأسها الخليفة ووزيره . وكان الرشيد يختار ولاة الاقاليم بنفسه ويستبدلهم بين وقت وآخر وكان يحقق في الشكاوى التي تأتي ضدهم سواء كانت من تقارير صاحب البريد أو الوفود أو الشكاوى الشخصية . وهذا ما فعله مثلا مع حماد البربري والي اليمن وموسى بن عيسى الهاشمي والي مصر وكذلك علي بن عيسى بن ماهان والي خراسان . كمـا ان عزله للبرامكة يعود من جملة ما يعود الى التجاوزات الادارية والفسـاد الاداري التي نسبت اليهم في آخر عهدهم بالوزارة .

أما ولايات الدولة العباسية على عهد الرشيد فهي [٢] :

الكوفة

البصرة

الموصل وتضم معها الجزيرة أحيانا

الجزيرة حيث تنفصل عن الموصل ويضم اليها أرمينية واذربيجان

الاحواز وتضم أحيانا سجستان

خراسان وتختلف حدودها الغربية حسب الاحوال السياسية وتضم كذلك اقليم ما وراء النهر

فارس وتضم أحيانا أقاليم ايران الغربية مثل همدان واصفهان والري

اليمن

الحجاز

الشام

مصـر

أفريقيّة وتضم (تونس وشرقي الجزائر)

السند

وكان الرشيد غالبا ما يعين الاشخاص الذين يثق بهم في الولايات المهمة مثل الحجاز وخراسان ومصر • وعلى سبيل المثـال فـان ولاة الرشيد على خراسان هم الفضل بن سليمان الطوسي التميمي وهو من عرب خراسان الذين لهم دور في تأسيس الدولة ثم عيّن جعفر بن محمد بن الاشعث الذي أناب ابنه عنه في ادارة الاقليم ثم عين خالـه الغطريف بن عطاء (أخـا الخيزران) ثم استبدله بحمزة بن مالك الخزاعي وأعقبه بالفضل بن يحيى البرمكي • وكان

---

٢ ــ المصدر السابق ، ص ٨٦ـ٨٧ .

آخر ولاة خراسان على عهد الرشيد هو علي بن عيسى بن ماهان الذي أساء السيرة وكان سبب حركة رافع بن الليث هناك . ويتبين من ذلك ان ولاة خراسان كلهم كانوا من العرب أو الموالي المقربين للخليفة الرشيد وموضع ثقته[3] .

وكان والي مصر مسؤولا عن ولاية أفريقيا المجاورة للادارة بالمغرب ، على أن القلاقل استمرت فيها مما جعل الرشيد أن يفوض أمرها الى ابراهيم بن الاغلب التميمي الذي كان قائدا حازما ذا بأس وحزم وجعل الولاية وراثية في أبنائه من بعده بعد تعهده بدفع ٤٠ ألف دينار لبيت المال بينما كانت الدولة تنفق سنويا على ضبط امورها وادارتها حوالي ١٠٠ ألف دينار[4] . ورغم ان تدابير الرشيد الادارية في أفريقيا لها ما يبررها حيث حققت الامن والاستقرار وجلبت للخزينة مبلغا لا بأس به من الموارد السنوية وأوقفت النفقات الباهضة التي كانت تصرفها الدولة،وكونت منطقة حاجزة بين الادارسة وأقاليم الخلافة العباسية ، الا أن هذه الاجراءات من ناحية أخرى أعطت ثقلا الى مظاهر التجزئة والتفكك والانفصال في جسم الدولة العباسية والتي كانت قد بدأت فعلا في الاندلس والمغرب[5] .

وقد شمل التطور النظام القضائي ومؤسساته في عهد الرشيد اسوة بالمؤسسات الاخرى وكان اهتمام الرشيد بالقضاء واضحا من رغبته في جذب الفقهاء والعلماء الى مجالسه الرسمية والخاصة خاصة ان العصر العباسي الأول كان عصر ظهور المذاهب الفقهية وتبلورها .

---

٣ ـ خليفة بن خياط ، التاريخ ، دمشق ، جـ٢ ص ٧٤٣. ـ الطبري ، القسم الثالث ص ٧٤٠ .

٤ ـ الكندي ، الولاة ، ص ١٥٥ فما بعدها . ـ خليفة بن خياط ، جـ٢ ، ص ٥٠٠ـ٥٠١ .

٥ ـ فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، جـ٣ ص

ومثلما كان الوزير نائب الخليفة ومستشاره في الشؤون الادارية والمالية كان ايجاد منصب (قاضي القضاة) من قبل الرشيد ليكون بمثابة نائب الخليفة في أمور القضاء الادارية والتشريعية في كافة أرجاء الدولة العباسية • وكان يعقوب بن ابراهيم الانصاري المعروف بأبي يوسف القاضي أول قاض للقضاة• فعمل على رفع شأن القضاة وتمييزهم واحاطتهم بالاحترام والاجلال[٦] •

ثم ان أبا يوسف القاضي كتب ، بناءً على أمر الخليفة الرشيد ، كتابا في « الخراج » أبرز فيه الطرق الشرعية لجبايته[٧] • وكانت غاية الرشيد من ذلك رفع الظلم عن رعيته والحد من الاجراءات التي كان العمال يبتدعونها لاجبار الزراع والفلاحين على دفع الخراج قبل وقته[٨] •

وقد أعطى هارون الرشيد قضاته الكثيرمن الاستقلالية في الحكموالاحترام لاحكامهم فحين امتنع عبدالصمد بن علي عم الخليفة هارون من حضور مجلس الحكم عطّل القاضي عمر بن حبيب قاضي الرصافة مجلس قضائه فوصل الخبر الى الرشيد فأجبر عمه على الذهاب الى مجلس الحكم حافيا وأن يجلس مع خصمه ويسمع حكم القاضي عليه[٩] •

وقد اهتم هارون الرشيد اسوة بأسلافه من الخلفاء بالنظر في المظالم ، ولكنه كان أول خليفة عباسي أشرك وزراءه في النظر بالمظالم ، مما أدى الى استغلال بعض الوزراء كالبرامكة لنفوذهم في هذا الشأن[١٠] • وحين سمع الرشيد انحرافهم عن جادة الصواب قال عن يحيى البرمكي :

« ••• استبد بالامور دوني وأمضاها على غير

---

٦ ـ الخطيب ، تاريخ تغداد ، ج ١٤ ص ٣٤٥ .
٧ ـ المصدر السابق .
٨ ـ راجع : ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣ .
٩ ـ الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج١١ ص ٩٦ .
١٠ـ فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، ج ٢ ص ١٠.

رأيي وعمل بما أحبه على غير محبتي »[11] •

وكان قاضي قضاة الرشيد غير راض عن اشراك الرشيد لغيره في المظالم ولهذا نصحه بأن يجلس بنفسه لها مرة في الشهر أو الشهرين[12] • ومع ذلك فقد كان الرشيد يجلس للمظالم او ينيب عنه صاحب المظالم مثل محمد بن الحسن الفقيه أو سماعيل بن ابراهيم بن علية •

كما كان الرشيد كابيه المهدي يتعقب الزنادقة ويجلس لمناظرتهم والتحقق من صحة التهمة الموجهة اليهم •

وتحفل مصادرنا التاريخية بالعديد من الأمثلة عن رد الرشيد لظلامات الناس من عمال الخراج او الولاة او غيرهم من الموظفين الكبار في أقاليم الدولة[13] •

أما بالنسبة للجيش العباسي[14] في عهد الرشيد فقد كان لا يزال جيشا عربيا في قيادته وعناصره الغالبة حيث يتكون من فرق عربية وفرق من أهل خراسان المولدين (عربا وعجما) ويسمون بالأبناء• ولكن اهتمام الرشيد بالجهاد وكذلك حفظ الامن والاستقرار في أرجاء الدولة دفع الخليفة الى السعي لتشكيل وحدات عسكرية جديدة استورد عناصرها من أهل المشرق من الهياكلة والصغد وفرغانه وبخارى•وقد وصل منها الى العراق في عهد الرشيد أكثر من عشرين ألفا أرسلوا الى الحدود البيزنطية حيث كانت خطط الرشيد العسكرية الطموح في حاجة الى مثل هذه القوات•ويمكن القول ان الوحدات الرئيسة في جيش الرشيد كانت تتكون من :

١١ــ الجهشياري ، ص ٢٢٦ •

١٢ــ الخراج ، ص ١١١ــ١١٢ •

١٣ــ عطا سلمان جاسم ، المصدر السابق ، ص ١٢١ فما بعد .

١٤ــ فاروق عمر ، عناصر الجيش في العصر العباسي ، الجيش والسلاح ، بغداد ١٩٨٨ .

١ ــ العرب ومن ضمنهم قوات أهل خراسان وقوات القبائل العربية •

٢ ــ الابناء وهم الجيل الثاني من قوات أهل خراسان الذين نشأوا في بغداد •

٣ ــ الفرقة العباسية وهم المجندون الجدد الذين جلبوا من بلاد ما وراء النهر وتركستان خاصة •

٤ ــ وهناك عناصر عسكرية أخرى متفرقة مثل السودان والزنوج والمغاربة والترك والموالي •

٥ ــ المتطوعة •• الذين ينخرطون في الجيش عند الحرب باختيارهم للجهاد في سبيل الله •

ان اهتمام الرشيد بالجيش نابع بالدرجة الاولى من اهتمامه بالجهاد ضد البيزنطيين ، ومن هنا كذلك جاء اهتمامه بالاسطول والبحرية فقد عيّن قائدا لاسطول البحر الابيض المتوسط هو حميد بن معيوف وقد غزا حميد قبرص وانتصر وأسر حوالي ١٦ ألفا من جند الروم[١٥] •

وأعاد هارون تحصين موانىء البحر المتوسط وبنى أو أعاد تعمير دور السفن وصناعاتها في تلك السواحل ، كما فكر جديا بفتح قناة تصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر ولكن مستشاريه نصحوه بالعدول عن ذلك لاسباب عسكرية وسياسية •

أما أهم المؤسسات العلمية التي يشار اليها في عهد هارون الرشيد فهي (بيت الحكمة) وهي مؤسسة للثقافة العلمية العالية تختص بالدرجة الاولى بالطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وتترجم كتب الاوائل في (العلوم العقلية) مثل مؤلفات اليونان والهنود وغيرهم[١٦] •

١٥ــ فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، جـ٣ ، ص ١٣ .

١٦ــ سعيد الديوجي ، بيت الحكمة ، ١٩٧٢ ، ص ٥ .

ولعل أول مؤسسة من هذا النوع ظهرت في العصر العباسي كانت في عهد المنصور ثم ازدهرت وتطورت في عهد الرشيد وتعرّفنا كتب التاريخ بأن العرب اعتنوا عناية خاصة بالكتب الرومية التي وقعت بأيديهم في مدن الجزيرة الفراتية والاناضول[١٧] ، فلم يفعلوا بها ما فعله الاسبان بكتب العرب في الاندلس ولا ما فعله المغول بكتب بغداد حين احتلوها . فقد أمر الخليفة هارون الرشيد بعد استيلائه على مدينة عمورية ومدينة أنقرة في بلاد الروم بالمحافظة على مكتباتها وأرسل وفدا من بغداد لاختيار الكتب القيمة التي تفيد المجتمع العربي الاسلامي وتتفق مع قيمه ومعايير ثقافته ، فأختار الوفد كتبا في الفلك والفلسفة والطب فجعلها الرشيد في مؤسسة بيت الحكمة ووجه المترجمين لنقلها الى العربية[١٨] .

وكان الحاج بن مطر أول من ترجم كتاب اقليدس الى العربية في عهد هارون الرشيد ولذلك تسمى ترجمته هذه بالترجمة « الهارونية » . كما ترجم في العهد نفسه كتاب المجسطي وعرضت الترجمة بعد الانتهاء منها على خبيرين من خبراء بيت الحكمة وصححا فيها .

ونقلت عدة كتب طبية الى العربية بواسطة منكه الهندي طبيب الرشيد . وكذلك فعل الطبيب ابن دهن .

وقد تبلورت في هذه الفترة والتي بعدها مدارس متعددة للترجمة لها تعاليمها وشروطها . مما يشير الى اهتمام الرشيد بعلوم الحكمة وترجمتها الى العربية ، فتوسعت مهام خزانة الحكمة التي كانت في عهد المنصور وسميت « بيت الحكمة » في عهد الرشيد بعد أن ضمت عدة خزانات مملوءة بالكتب عليها من يقوم بالاشراف والتنظيم والنسخ والترجمة والتجليد والخط والزخرفة

١٧ــ القفطي ، اخبار العلماء ، ص ٢٤٩ .

١٨ــ الجومرد ، هارون الرشيد ، جـ٢ ص ٣٢٦ .

والتزويق • وكان يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ) أمينا على الترجمة في بيت الحكمة على عهد الرشيد ومعه العديد من الكتّاب الذين يساعدونه[١٩] •

لقد تقدمت حركة الترجمة ليس في مجال العلوم الصرفة فحسب بل في مجال الانسانيات أيضا حيث نلاحظ عدة ترجمات لكتاب « كليلة ودمنه » وهو كتاب في الاخلاق والعبر والحكمة لمؤلفه الفيلسوف الهندي بيدباء وكانت أول ترجمة له لعبدالله بن المقفع من مخضرمي العهدين الاموي والعباسي الاول ولكن ظهرت ترجمات عربية عديدة له في عصر الرشيد كما نظمه عدد من شعراء عهد الرشيد مثل ابان اللاحقي وعلي بن داود وغيرهم مما يدل على حيوية حركة الفكر والثقافة في تلك الفترة •

ومما يدل على سعة أفق الرشيد ورغبته في الاطلاع على ما عند الامم الاخرى من ثقافات وديانات تشجيعه لترجمة بعض الكتب عن تاريخ الانبياء والاديان فقد ترجم أحمد بن عبدالله بن سلام مولى الرشيد عن السريانية واليونانية والعبرانية أخبار الانبياء والتوراة والانجيل وغيرها[٢٠] •

ان انتعاش الحركة الفكرية واتساع نطاق الثقافة لتصل الى كل من يتطلع اليها من فئات المجتمع في العصر العباسي يعود كذلك الى انتشار صناعة الورق (الكاغد) في هذه الفترة بالذات والى تشجيع الرشيد لاستعماله ليس على نطاق الكتب والاسفار فحسب بل في سجلات الدواوين المختلفة في دولة الخلافة فأصبحت الصحف والدفاتر التي تضمها السجلات من الكاغد[٢٠أ]•

١٩ـ سعيد الديوجي ، المصدر السابق ، ٣٠ـ٣٢ • ابن جلجل، طبقات الاطباء، ص ٦٧ •

٢٠ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢١ـ٢٢ • ـ معجم الادباء لياقوت ، جـ١٢، ص ١٩١ •

٢٠ أـ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ص ١٤٧ •

التقاليد والمراسم الاجتماعية :

نمت في المجتمع العباسي العديد من العادات والتقاليد التي باتت مظاهر اجتماعية متعارف عليها كما وان الخلافة أوجدت العديد من الرسوم أو المراسيم الرسمية التي غدت ضمن (البروتوكول) الرسمي للدولة[٢١] .

أ ــ ومن بين هذه الرسوم المجالس أو الجلوسات الرسمية التي تقام عادة في قاعة أو بهو من قصر الخليفة والذي كان يسمى (الايوان) حيث تعلق على أبوابها ستائر من الحرير المطرزة بشعارات الدولة وكان الخليفة يستقر على عرش مرتفع يعرف (بالسرير) وراء ستار ويبدأ الاستقبال حين يتقدم الناس بتحية الخليفة بالقاء السلام ، ثم أدخلت عادات فارسية مثل تقبيل اليد أو تقبيل الارض بين يدي الخليفة .

وكان الولاة في الاقاليم يعقدون مجالسهم على نمط مجلس الخليفة . ويحضر هذه المجالس نخبة من العلماء والادباء والشعراء ويدور النقاش حول مواضيع شتى أدبية واجتماعية وسياسية .

وهنالك كذلك المجالس العلمية التي لعبت دورا مهماً في تقدم العلوم الدينية واللسانية والعقلية . وكانت في بدايتها تعقد في المسجد الجامع ثم عقدت في دور العلم .

ونوع ثالث من المجالس هي مجالس الوعظ والارشاد حيث يحدث فيها العلماء والفقهاء على المذاهب المختلفة وتعقد غالبا في الجوامع والصوامع وأحيانا في الاسواق والطرقات . وعمد بعض العلماء الى تحديد يوم معين وساعات معينة لمجلسه الاسبوعي .

٢١ــ راجع فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية (كتاب منهجي) بغداد ١٩٨٦، فصل الحياة الاجتماعية .

كما كان للمتنفذين والاكابر في المجتمع مجالس خاصة بهم يجمعون فيها صحابتهم ومن يريدونهم من الشعراء والادباء والعلماءوتعقد عادة في قصورهم ومنتدياتهم •

ولعل من أبرز رسوم القصر العباسي هي (الاسمطه) أو الولائم التي تقام في الاعياد والمناسبات وخاصة في شهر رمضان • ويبدو ان معاوية بن أبي سفيان كان أول من مد السماط رسميا •

ومن مراسيم الخلافة العباسية موكب الخليفة أيام الاعياد والجمع حيث يتقدمه الحرس يحملون الاعلام وآلات الموسيقى ثم امراء العباسيين ثم الخليفة وحوله رجال الدولة ثم الغلمان والحرس • وكذلك مواكب الحج حيث كان الخلفاء يبذخون في النفقات على الموكب وكذلك على الطريق الذي سيسير فيه الموكب من العراق حتى الحجاز • وكان يطاق على هذه المواكب الرسمية (المواكب العظام) • وكانت جماهير الشعب تشترك في هذه الاحتفالات ولعل اهتمام الدولة بهذه الاحتفالات واضفاء الروعة اليها مرجعه ادخال البهجة في نفوس الناس واثارتهم •

وكانت الاحتفالات الدينية تتصل بأيام الجمع وشهر رمضان والحج والاعياد وما اليها •

وعدا ذلك فقد تقام احتفالات عسكرية استعدادا لقمع ثورة في اقليم من الاقاليم أو لارسال جيش للجهاد ضد الروم أو الترك أو بمناسبة الانتصار على متمرد من أمثال بابك الخرمي أو صاحب الزنج أو القرامطة حيث يعم الفرح بين الناس • ويزيد من جمال هذه المواكب العسكرية خروج الجند بكامل سلاحهم مع أعلامهم الملونة وطبولهم وآلاتهم الموسيقية •

وفيما عدا الاحتفالات الدينية والعسكرية كانت هناك احتفالات عامة بسبب مجيء الوفود أو بناء مدينة حيث تقام العروض المختلفة أثناء الاحتفال•

كما يأمر الخليفة بالاحتفال حين ينادى بتنصيب ولي العهد بصورة رسمية • وكان الناس يلبسون أحلى ألبستهم في هذه الاحتفالات حيث ازدهرت صناعة النسيج وأصبح هنالك ديوان خاص لملابس الموظفين هو (ديوان الطراز) لصنع الملابس الخاصة بالخليفة والوزراء والعمال وموظفي الادارة •

ب ــ أما نشاطات اللهو البرىء والتسلية والرياضة فلعل أبرزها وأولهـا رياضة الصيد كصيد الغزلان والطيور ثم بدأوا يتخذون الجوارح كالصقر للقنص • بل انهم تفننوا في تربيته وصـار عنـدهم أنواع عديدة منه كالباز والشاهين والصقر والعقاب وغيرها • كما ربى العرب الفهود والكلاب لصيـد الحيوانات الوحشية في البرية والصحاري •

وعرف العرب منذ أقدم الازمنة بالفروسية وهي رياضة وتسلية وكان من المغرمين بها من خلفاء بني أمية يزيد بن معاوية ومن خلفاء بني العباس المهدي والمعتصم • وقد اعتاد المجتمع عقد سباقات للخيل واتخذوا لها حلبات السباق•

وعرف المجتمع الاسلامي لعبة الشطرنج التي شاعت في عهد الرشيـد العباسي ثم النرد الذي شاع في المجتمع في نفس الفترة •

وكان الناس يقضون بعض وقتهم في سماع الغناء والموسيقى التي انتشرت في العصر الاموي حيث كثر المغنون والمغنيات • وتشير روايات تاريخيـة ان الوليد بن عبدالملك مال الى الغناء فكان أول الامويين في طلبه للمغنين ، أمـا الوليد بن يزيد فربما فاق غيره في تشجيع الغناء والموسيقى ، وقد استمرت في العصر العباسي •

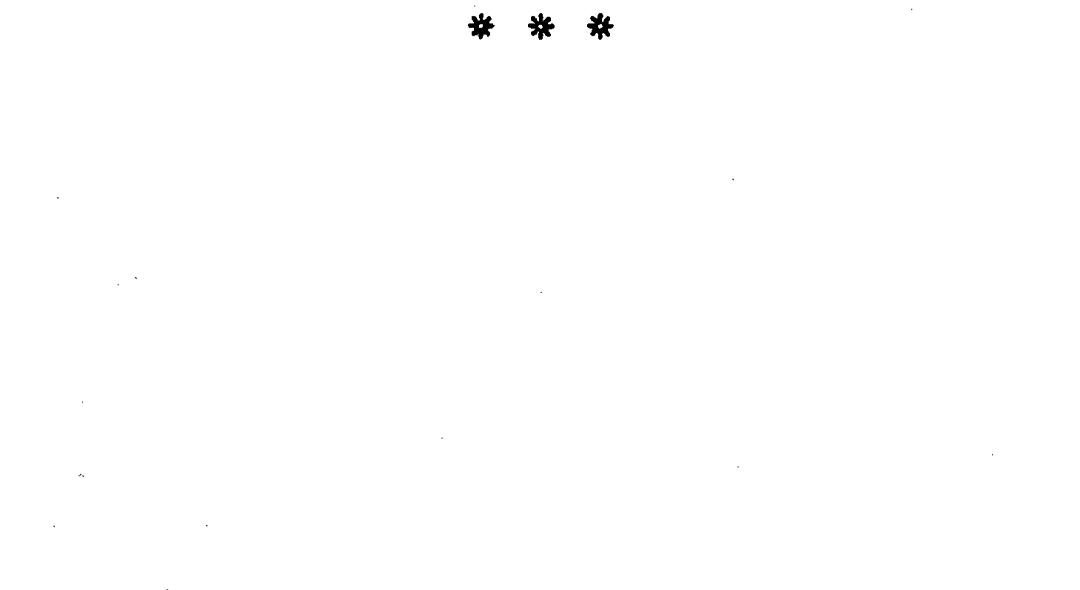
ولا شك ان مجالس سماع الشعر والادب كانت من ألوان التسلية واللهو اضافة الى الثقافة والمعرفة وكانت تعقد في الدور وقصور الاغنياء وفي الاسواق•

أما المنتزهات فقد انتشرت في بعض المدن الاسـلامية واتخـذت مكانا للترويح عن النفس لما فيها من حدائق وأزهار وأشجار وطيور • كما انتشرت

في مدن اسلامية عديدة حدائق الحيوان او (الحير) حيث يجـد فيها الناس وسيلة للتسلية وقضاء بعض الوقت ٠

هذا اضافة الى السباحة والتنزه في القوارب في البرك أو الانهار وقـد اشتهرت بغداد بكثرة وتنوع قوارب النزهة في نهر دجلة ٠ وكذلك لعب(الكرة والصولجان) من على ظهور الخيل حيث لعبها هارون الرشيد مع كبار قادتـه مثل يزيد بن مزيد الشيباني وقلده فيها الامراء والاشراف ٠

* * *



الخاتمة

خلد المؤرخون الرواد والمحدثون هارون الرشيد في الاسفار التي دونوها عن الفترة العباسية وعن بغداد حاضرة الخلافة وأم الدنيا..فقد وصفه بعضهم بأنه « كان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا » . على أن اهم ما يميز عهد هارون الرشيد في نظرنا هي اهتمامه بالجهاد ومن هنا جاءت تسميته « بالخليفة المجاهد » . فقد أعاد هارون الرشيد روح الجهاد في سبيل الله وبثها بين مقاتلة جيشه بالروح والعزيمةالتي تحلى بها القادة العرب المسلمون الاوائل. ومن هنا أيضا نبع اهتمامه بالجيش من حيث تجديد وتنويع عناصره والبحث عن موارد بشرية جديدة لتكوين فرق ووحدات عسكرية جديدة وتجميرها في الثغور والعواصم على حدود (دار الاسلام) .

ومن المنطق نفسه اهتم الرشيد بتقسيم منطقة الحدود تقسيما اداريا عسكريا جديدا لم يسبقه اليه أحد من خلفاء بني العباس .. وهذا التقسيم يتكون من منطقتين الاولى الثغور وهي المنطقة القريبة من أرض العدو . وثانيها العواصم وهي مناطق التحصينات والدفاعات والربط والمنازل التي يعتصم بها المقاتلة في الخط الثاني .

وفيما عدا هذا وذاك اعتنى الرشيد بالاسطول الحربي ليكون سندا للجيش في قتاله ومعاركه وبنى دور صناعة السفن ورمم الدفاعات الساحلية والموانىء. وقد حققت كل هذه الاجراءات العسكرية وغيرها نتيجة جيدة في ميادين القتال وحفظت حدود الدولة وأمنها وسلامتها وأجبرت الروم على عقد

أكثر من هدنة مع العباسيين بعد ان انكسروا في عدد من المعارك المهمة التي كان الرشيد يقود بعضها بنفسه •

واذا كان الرشيد باجراءاته تلك قد أمن جانب العدو وحافظ على حدود دولته الواسعة فانه من ناحية أخرى قد بث الامن والاستقرار والطمأنينة في الداخل باهتمامه بمؤسسات العدالة وحفظ النظام وايجاده مؤسسة جديدة تساعده في الاشراف على تطبيق العدالة في أقاليم الدولة وهي مؤسسة «قاضي القضاة» التي كانت تشرف على كافة قضاة الدولة وتفتش أحكامهم وسير محاكماتهم وترسل تقاريرها الى الخليفة للاطمئنان على تحقيق العدل ورفع الظلم عن الناس •

هذا اضافة الى جلوس الرشيد للمظالم بنفسه ليحكم بين المتظلمين من جهة وبين كبار رجال دولته من ولاة وعمال وأصحاب دواوين ووزراء ومتنفذين ومقربين من شخصيات بني العباس من جهة أخرى ، ممن تجاوزوا على حقوق الرعية •

وتأتي اجراءاته لمحاربة الزندقة والغلو في الدين والشعوبية في الاطار نفسه من أجل تحقيق الانسجام والتآلف في العقيدة بين فئات المجتمع المختلفة• وقد سار الرشيد في سياسته هذه على نهج أبيه المهدي الذي يقول عنه قاضي القضاة شمس الدين بن محمد الباعوني الشافعي في « ارجوزة لطيفة في التاريخ »[٢٢] :

وانتصب المهدي لما أن مضى	والده وكان سيفاً منتضى
أباد كل كافر زنديق	وكان مهدياً على التحقيق

٢٢ـ قاضي القضاة شمس الدين الباعوني ، مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس رقم (١٦١٥ عربية) • ورقة ١٧.

وتأتي اهتمامات هارون الرشيد وزوجته زبيدة بنت جعفر حفيدة الخليفة المنصور بالحج وأماكنه واصلاح طرقه وآباره • فقد حفرت السيدة زبيدة العديد من الآبار على طريق قوافل الحجيج بين العراق والحجاز وبنت أماكن الراحة وزودتها في موسم الحج بالمؤن والأقوات •

كما اهتم الرشيد بنشر الاسلام والثقافة العربية في أقاليم بلاد فارس،ففي رواية تاريخية أن فئات من سكان تلك الأقاليم وخاصة طبرستان قد أسلمت على يديه في احدى حملاته الى تلك الاصقاع التي كانت لا تزال مستعصية على الدولة العباسية •

وقد قام الرشيد بمحاولات جادة لاصلاح طرق جباية الخراج ، والقضاء على ظلم بعض عمال الخراج للفلاحين ، وأمر قاضي قضاته أبا يوسف بتأليف كتاب في ذلك يكون مرجعا لكل الولاة والعمال في عهده والعهود التالية • ويبدو من هذا الكتاب مقدار عناية الرشيد بالأرض الزراعية ومحاولته ايجاد الوسائل لرعاية الفلاح في أرضه • فقد عدل (نظام الخراج) وأوجد كيلا جديدا هو القفيز الهاشمي وجوّد العملة المتداولة بين الناس فزادت هذه الاجراءات من الرفاهية الاقتصادية في ارجاء الخلافة خاصة بعد تخفيف عبء بعض الضرائب عن الفلاحين •

لقد حكم هارون الرشيد مدة ثلاث وعشرين سنة من ١٧٠هـ ــ ١٩٣هـ لم يأل خلالها جهدا في ضبط الامن وتأمين الحدود وتحقيق أكبر قدر من الرفاهية للرعية ، لذا اقترن عصره بالازدهار وسمّي بالعصر الذهبي في تاريخ الخلافة العباسية • وتوفي الرشيد بعيدا عن عاصمته بغداد وهو يحث الخطى ليقضي على تمرد عكر صفو الاستقرار والأمن في أقصى ولاية في المشرق وهي ولاية خراسان ، ولسان حاله في كل الاحوال يقول : « على الرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي من حراسة رعيته » •

بدأت علامات الجهد والتعب تظهر على الرشيد في سنوات حكمه الاخيرة وقد نصحه طبيبه جبريل بن بختيشوع بالخلود الى الراحة ولكن أنّى له ذلك وهو الخليفة الغازي المجاهد الحاج المعتمر •• ومما زاد في الطين بلة انالخليفة بدأ يشعر ويتحسس بالتكتلات السياسية التي تتبلور حول أبنيه وولي عهده الامين والمأمون في حياته وليس بعد مماته وكيف ان الشخصيات الرئيسة في هذه التكتلات تحاول ــ لمصلحتها الخاصة لا مصلحة الدولة والخلافة ــ أن تجعل من مرشحها الخليفة المرتقب !!

ويبدو أن المرض بدأ يشتد عليه منذ عام ١٩١هـ/٨٠٧م ولكنه كانيأمر بكتمان أمره عن الناس وقد منعه مرضه من قيادة عدة حركات عسكرية بعد تلك السنة فقد كان يُنيب قادة جيشه أو أبنائه للقيام بذلك مثل محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني وخالد بن يزيد بن حاتم المهلبي ويزيد بن مخلدالهبيري وهرثمة بن أعين ويحيى بن معاذ وعبدالله بن مالك •• وكل هؤلاء من العرب أو من الموالي ذوي النزعة العربية الموالية للخلافة •

ولكن حركة رافع بن الليث بن نصر بن سيار في خراسان وبلاد ما وراء النهر[٢٣] ، قد بدأت سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م في مدينة سمرقندبلاد ما وراءالنهر• وقد اختلفت الاسباب التي كانت وراء هذه الحركة ففي رواية تاريخية انها كانت حركة ذات ميول أموية وانها كانت تهدف الى اعادة سلطان الامويين ، خاصة اذا علمنا ان رافعا هذا كان حفيد الوالي الاموي القدير على خراسان نصر بن سيار • وكان نصر هذا آخر ولاة الامويين في تلك المنطقة وأقدرهم وهو الذي حذر الخلافة بدمشق من استفحال الفتنوالاضطرابات دونجدوى، وقال في ذلك شعرا بليغا عله يفعل فعله في تحريك الامويين وتأجيج المشاعر دون نتيجة تذكر • فاذا كانت هذه الرواية صحيحة فان رافعا بن الليث

٢٣ــ راجع الطبري ، القسم الثالث ، ص ٧١٧ فما بعد. ــ ابن الاثير ، جـ٦ ، ص ١٦٤ •

كان يحاول تأليب القبائل العربية في خراسان ضد والي الرشيد علي بن عيسى بن ماهان الذي أساء السيرة فيهم وظلمهم • ولكن فرصة انصار الامويين لاعادة دولتهم في خراسان لابد أن تكون ضعيفة وليس لها نصيب من النجاح •

أما الرواية الثانية فتعزو الحركة لاسباب شخصية بحتة وقعت بين رافع بن الليث وعامل العباسيين على سمرقند سليمان بن حميد الازدي وهذه الرواية ضعيفة • على أن الرواية الثالثة أكثر صحة وتوثيقا ذلك انها تشير الى أن تمرد رافع بن الليث حدث نتيجة سوء سيرة الوالي العباسي علي بن عيسى بن ماهان• وقد وصلت أخبار الوالي الى الخليفة بعد أن استفحلت حركة التمرد وانتشرت من بلاد ما وراء النهر الى خراسان • وقد سيطر رافع على مدن عديدة في الاقليمين ودحر جيش علي بن عيسى بن ماهان• وكان على الخليفة أن يتخذ اجراءات سريعة لقمع التمرد فأرسل جيشا بقيادة مولاه هرثمة بن أعين ظاهره المدد للوالي وباطنه اقالة الوالي وارساله الى العراق مخفورا والسيطرة على خراسان • وكتب الرشيد بخطه كتابا الى ابن ماهان يندد به وبسوء سيرته ويقول :

« •• رفعت من قدرك ونوهت باسمك وأوطأت سادة العرب عقبك وجعلت ملوك العجم خولك واتباعك ، فكان جزائي ان خالفت عهدي ونبذت وراء ظهرك أمري حتى عثت في الارض وظلمت الرعية وأسخطت الله وخليفته بسوء سيرتك وظاهر خيانتك•

وقد وليت هرثمة بن أعين مولاي ثغر خراسان وأمرته أن يشد وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك، ولا يترك وراء ظهوركم درهما ولا حقا لمسلم ولا معاهد الا أخذكم به حتى تردوه الى أهله••»

لقد حاول الوالي الجديد هرثمة بن أعين أن يعالج أمر التمرد بالمفاوضات فكتب عدة رسائل الى رافع بن الليث دون جدوى • فلما علم الرشيد باصرار رافع على العصيان أمر هرثمة بالزحف نحو سمرقند لقتالهم ، وفي الوقت نفسه قرر الخليفة المسير بنفسه الى خراسان للإشراف على العمليات العسكرية ضد المتمردين •

تحرك الرشيد من الرقة حيث كان مستقرا فيها منذ أعوام الى بغداد وبقي فيها عدة أشهر يستكمل اعداد جيشه عدة وعددا • ثم غادر بغداد بعد أن جعل ابنه وولي عهده الاول محمدا الامين نائبا عنه بمدينة السلام • وقد رافق الرشيد عدد من القادة وكذلك الوزير الفضل بن الربيع وولداه المأمون وصالح وطبيبه جبرائيل بن بختيشوع وعدد من خاصته بينهم صباح الطبري ومسرور الخادم • ولكن السفر زاد من مرضه ، فلما وصل مدينة طوس نزل في قصر حميد بن قحطبة الطائي ولم يستطع مواصلة الرحلة الى خراسان ولكنه كان يترقب أخبار القتال ويستعجل أنباء تحركات الجيش العباسي •

حين أدرك الخليفة أن ليس باستطاعته قيادة الجيش الى خراسان أرسل المأمون مع الجيش وعيّن له نخبة ممتازة من القادة العسكريين بينهم أسد بن مزيد الشيباني ونعيم بن خازم التميمي والعباس بن جعفر بن الاشعث وسعيد الحرشي وعبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ • وحينما هم الجيش بالتحرك وصلت أخبار انتصارات هرثمة بن أعين على رافع بن الليث في بخارى ومحاصرته المتمردين في سمرقند ، وأسره العديد منهم مثل بشير بن الليث (أخو رافع)• وقد أحضر الرشيد بشيرا ووبخه على ما قام به هو وأخوه رافع قائلا :

« أيتوهم رافع انه يغلبني ؟ والله الذي لا إله
الا هو لو كان جيشه عدد نجوم السماء لتلقطتهم واحدا
واحدا حتى أقتلهم عن آخرهم » •

وفي صباح يوم الجمعة ٢ جمادى الآخرة من عام ١٩٣هـ/٢٥آذار سنة ٨٠٩م توفي الرشيد في طوس وانتهى عهد من أزهى عهود العصر العباسي الاول. يقول الجومرد[٢٤] :

« مات هارون الرشيد وعمره خمس واربعون سنة وطوى التاريخ بموته حقبة كانت من أروع فتراته وأسدل الستار على مسرحية ممتعة تتدفق ـ رغم هنواتها ـ حضارة وكرامة ، دامت فصولها على مسرح بغداد السياسي ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما .. هي خلافة الرشيد » .



٢٤ـ الجومرد ، هارون الرشيد ، جـ٢ ، ص ٥٦٢ .



المصادر الاولية والمراجع الثانوية :

ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ طبعة ليدن وطبعة بيروت .

الازدي (ت ٣٣٤ هـ) تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ .

ابن اعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ) الفتوح ، بيروت ١٩٧٠ .

الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) مقاتل الطالبيين ، القاهرة ١٩٤٩ .
الاغاني ، مصر .

البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) الفرق بين الفرق ، بيروت ، بلا تاريخ .

البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) رسائل ، القاهرة ١٩٦٤ .
البيان والتبيين ، القاهرة ١٩٤٨ .

الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨ .

ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) جمهرة انساب العرب ، مصر ١٩٦٢ .

الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) تاريخ بغداد ، طبعة بيروت .

ابن خياط ، خليفة (٢٤٠ هـ) التاريخ ، النجف ١٩٦٧ .

الدينوري ، ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) المعارف ، مصر ١٩٦٠ .
عيون الاخبار ، القاهرة ١٩٢٥ .

الدينوري ، احمد (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال ، القاهرة ١٩٦٠ .

ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) الطبقات ، بيروت ، ١٩٥٧ .

الصابىء ، هلال (ت ٤٤٨ هـ) رسوم دار الخلافة ، بغداد ١٩٦٤ .

الطبري (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة ليدن والطبعة المصرية

ابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ) الفخري ، مصر ١٩٢٣ .

قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) الخراج وصنعة الكتابة ، بغداد .

مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ليدن ١٨٦٩م.
المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ، مصر ، ١٩٦٧ م .
التنبيه والاشراف ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .
اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) مشاكلة الناس لزمانهم ، بيروت ١٩٦٢ م.
التاريخ ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .
ابو يوسف القاضي (ت ١٨٢ هـ) الخراج ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .

* * *

المراجع الثانوية :

بالمر ، هارون الرشيد ، لندن ، ١٨٨١ (بالانكليزية) .
فلبي ، هارون الرشيد ، مترجم ، ١٩٤٨ م .
الجومرد ، عبدالجبار ، هارون الرشيد ، جزءان ، بيروت ١٩٥٦ .
الجنابي ، عجمي محمود ، مؤسسات الخلافة في عهد هارون الرشيد (اطروحة ماجستير) بغداد ، ١٩٨٦ .
عمر ، فاروق ، العباسيون الاوائل ، ثلاثة اجزاء ، ١٩٧١ــ١٩٨٣ .
الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، بغداد ، ١٩٨٦ .
بحوث في التاريخ العباسي ، بيروت ــ بغداد ، ١٩٧٧ .
النظم الاسلامية ، العين ، ١٩٨٣ .
تاريخ فلسطين في العصور الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٧ .
ثابت ، نعمان الجندية في الدولة العباسية ، بغداد ، ١٩٨٧ .
الدوري ، عبدالعزيز . العصر العباسي الاول ، بغداد ١٩٤٥ .
الريس ، محمد ضياء . الخراج والنظم المالية ، مصر ١٩٦١ .
الصالح ، صبحي ، النظم الاسلامية ، بيروت ١٩٦٥ .
علي ، محمد كرد . الادارة الاسلامية في عز العرب ، القاهرة ١٩٣٤ .
الكروي ، ابراهيم . نظام الوزارة في العصر العباسي ، الكويت ١٩٨٣ .
كوك ، ريجارد . بغداد مدينة السلام (مترجم) بغداد ، ١٩٦٢ .
استرنج . بلدان الخلافة الشرقية (مترجم) بغداد ، ١٩٥٤ .
الحاجري ، طه . قصر الرشيد ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، مصر .
المدور ، جميل . حضارة الاسلام في دار السلام ، مصر ، ١٩٣٢ .

الخربوطلي ، علي . المهدي العباسي ، سلسلة اعلام العرب ، مصر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

رفاعي ، احمد . عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٧ .

جاسم ، عطا . النظر في المظالم .. رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٨٥ .

الانباري ، عبدالرزاق . منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، بيروت١٩٨٧.

عبدالرزاق ، زاهدة . الخليفة العباسي محمد الامين ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٨٨ .

الكلكاوي ، جاسم . البرامكة والعلويون ، بغداد ، ١٩٦٥.

حمادة ، محمد ماهر . الوثائق السياسية والادارية للعصر العباسي الاول.

الباشا ، حسن . الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٥٧.

فياض ، عبدالله . تاريخ البرامكة ، بغداد ، ١٩٤٨ .

المناوي ، محمد عبدالرؤوف . النقود والمكاييل والموازين ، نشر وتحقيق رجاء السامرائي .

ناذيدا ، اصول البرامكة ، مجلة الثقافة الاسلامية ، ١٩٣٢ (بالانكليزية).



طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة سنة ١٩٨٩


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com